8me Année No. 381

Lundi - 21 - 10 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٨١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهرس

١٥ ، ٣٣

الحـــرب والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

من رأيى الذى شرحته قبل الآن أن الحروب والثورات تشحذ ملكات الخطابة ولا تشحذ ملكات الشعر، بل تلجئها أحياناً إلى الصمت والركود، لأن الشعر « فردى » والخطابة اجتماعية تنشط بنشاط الجماعات، وتؤدى عملاً لا غنى عنه فى أيام الحروب والثورات

وما يروج من الأناشيد والأغانى فى إبان الحرب أو الثورة، فإنما حكمه حكم الخطابة، لأنه يتردد بين الجماهير فى حالات الاجتماع ولا ينظم بداءة كما تنظم القصائد التى يترنم بها الشاعر على انفراد

وقديماً نظمت الملاحم الكبرى عن حروب الأمم البائدة، فخيل إلى بعض الناقدين أن الملاحم تستدعى النظم وتلقح فراغ الشعراء، وهو فى رأينا تخيل خاطئ، لأن اتخاذ الملاحم موضوعاً شعرياً لا يستلزم أن يزدهر الشعر فى أيام الحروب، كما أن وصف إنسان فى قصيدة لا يستلزم أن يكون ذلك الإنسان من عرائس الشعر التى توحى المعانى وتفتق الخواطر، وقد يكون فى حقيقته على نقيض ذلك

ولقد كانت الملاحم فيما مضى تنظم على سبيل التدوين والتخليد

بعد انقضاء عهدها بزمن طويل أو قصير ، وكانت هذه الملاحم المنظومة هي وسيلة التدوين التي لا وسيلة غيرها بين أولئك الأميين من الأقدمين . فلما كثرت وسائل التدوين في العصر الحديث كان ذلك أقمن أن يضعف النزعة إلى تخليد الحروب بالمنظومات المطولة ، وأصبحت القصائد التي تنظم في هذا الغرض أقرب إلى التعليق والاعتبار والإعراب عن فلسفة الشاعر في الحياة وحوادث الأيام منها إلى سجلات الحفظ والتأريخ

فليست أيام الحروب من أيام الشعراء . ولعل الحرب من حروبنا الحديثة تشغل الملايين وألوف الملايين أعواماً ، ثم تنجلي عن بضع قصائد مختارة لا تملأ كراسة واحدة ولا تساوي في عدد سطورها رواية من الروايات التي تمثل في بضع ساعات وموضوعها محصور بين رجل وامرأة ، أو بين شرذمة قليلة من الرجال والنساء

إلا أن النفوس لا تخلو من الشعر في إبان الملاحم والمذابح البشرية ، فهي لا تميته ولا تحجر عليه، ولا تمنع الأذهان فينة بعد فينة أن تنصرف إليه ، وكل ما هنالك أنها ليست بالقاح الجيد لقرائح الشعراء

ومن العجيب أن أشيع القصائد التي خلقتها الحرب الماضية كانت لرجل ليس بالشاعر ولكنه طبيب

ولم يكن من عادته أن ينظم الشعر ، ولكنه فتح له في لحظة من اللحظات كما تفتح أبواب الإلهام

ولم تنشرها صحيفة البنش Punch الإنجليزية التي نشرتها دون غيرها إلا وهي تتردد في استحسان القراء لها بل في التفاتهم إليها

ثم كان من شأنها أنها ملأت العالم الإنجليزي في أيام ، وحاولت أمم أخرى أن تترجمها فلم تفلح في أداء بساطتها وجرسها وما يتخللها من الحزن والتفاؤل الرصين

ثم أصبح من عادة الجماهير الإنجليز كلما تجدد ذكرى الهدنة أن يلبسوا في عروة المعطف صورة أقحوانة مصنوعة تباع وتخصص أثمانها لأعمال الخير التي تقام باسم المارشال هايج ، لأن الأقحوانة كانت موضوع ذلك القصيد

قال الطبيب الشاعر :

« ترفّ الأقاحي في سهول الفلاندرس
بين صلبان القبور صفوفاً وراء صفوف
معلماً من معالم المكان الذي نحن فيه
والقنابر في الفضاء — يا لشجاعتها — لا تزال تغني غناءها،
وندر أن تسمعها الآذان تحتها بين قصف المدافع وانطلاق النيران »

* * *

« نحن الموتى !
قبل أيام قليلة كنا أحياء
وكنا نحيا ونحس الفجر الطالع وننظر إلى الشفق الوهاج ،
وكنا نحب وكنا محبوبين
ونحن اليوم في سهول الفلاندرس نيام »

* * *

« خذوا بأيديكم عنان النضال مع الأعداء ،
أيدينا المتخاذلة ألقت إليكم بذلك العنان .
وارفعوا الشعلة عالية ... ارفعوها ولو بقيت في أيديكم سنوات
فإن نقضتم عهدكم لنا نحن الذين مضينا
فلن ننام في مضاجعنا
ولو ظلت الأقاحي رفافة في السهول »

* * *

نظمت هذه الأبيات قبل نيف وعشرين سنة ، وعادت الأقاحي ترف في سهول الفلاندرس ، وعادت الأجساد تهوى هنالك ألوفاً وراء ألوف ، وتناول شاعر انجليزي القلم من حيث ألقاه الطبيب الكندي الذي قضى قبل أن تنقضي الحرب الماضية فقال :

« الآن ، ومن تلك الأرض التي يطل من قبورها الأقحوان
ينهض موتانا كرة أخرى !
علموا من قبل أنهم لا يهجعون
إذا قيل يوماً إنهم عبثاً ماتوا وعبثاً ضرجوا تلك السهول بالدماء.
لقد غرسوا ولم يحصدوا ... أليس هؤلاء الأعداء يعودون ؟
فالآن ينهضون ليحصدوا ما غرسوه ، ويحصدوا الكيل ألف كيل

لأن الموتى كلهم يعرفون كيف يحفظونها ، فلا تموت »

والشاعر الذى أضاف هـذه الأبيات هو ألفريد نويس Alfred Noyes صاحب القصائد التى تقرأ اليوم حيث تقرأ اللغة الإنجليزية ، ولـكنه يحسب نفسه من السعداء إذا جرى مع الطبيب الكندى فى مضمار

* * *

وتجرى مع هذه النغمة فى سهولتها وشجاها أبيات الشاعر المعروف لورنس بنيون التى يرثى فيها لضحايا الحرب ويغبطهم لأنهم لا يشيخون حيث يقول :

إنهم لن يشيخوا كما نشيخ نحن المتروكين

إنهم لن يعرفوا سأم العمر ولن تثقل على كواهلهم السنون.

سنذكرهم حين تهبط الشمس وحين تؤوب

« سنذكرهم وهم غائبون ! »

* * *

أما فى الحرب الحاضرة فالشعر الذى نشرته المجلات حتى الآن كثير ، والمختار منه قليل

ومن هذا القليل قصيدة للسير روبرت فانسيتارت Vansittart من رجال السلك السياسى النابهين ومن الشعراء الذين يروق فى شعرهم الترصيع الأنيق والإيحاء الموارب ، لأنه يذكرك لغة السياسيين

نظم هذه القصيدة بعد هزيمة فرنسا كأنه يخاطب بها محبوبة ناكثة فقال :

« ألم أكن وفياً لك من البداية ؟

ألم أخلص لك الحب منذ عهد الشباب ؟

ألم أحببك غير مضلل عن عيوبك ولا واهم فيك ؟

أعرف أسوأ ما عنـدك وأعرف أن الأحسن فيك هو الأقرب إلى الحق والصواب !

* * *

وإنك لتلى كنت صفوحاً وكنت تعلمين ما لم أكن أخفيه من عيوب

فامتزجنا ومشينا جنباً إلى جنب

نواجه عالماً لا نقوى على مواجهته منفردين

* * *

أ كنت تحفظين ودى والأيام مقبلة ؟

نعم ... ولكنى كنت أحفظ والأيام ليست كذلك ،

وكان الإغراء ينال من حصنك

وبضعفك مرة أخرى تنتصرين

وتنسين ! ...

* * *

تنسين نفسك وتنسين الحرية وتنسين الصديق ،

بل تنسين حتى ما ينفعك وحتى ما تتمنين .

واليوم يسود التورد اللباح من وهج الحب

مسحة من الخجل ، وتنقضب القصة كما انقضبت قصص كثيرة من قديم

ويتم الوداع فى بوردو

* * *

وإياى الآن تكرهين ، ولن ينقص كرهك لى حين أذهب غير واهن ولا مهدود بما أصابك

وحين أقف وحدى فى وجه الدنيا ، وأنظر جنبى فلا أراك»

* * *

ومن قليل الشعر الرائق فى الحرب الحاضرة ولا يقال مثله فى حرب قبلها هذه الأبيات التى نظمها « ولفريد جبسون » وهو يصغى إلى موسيقى « بيتهوفن » من مذياع ألمانى ويستمع إلى دوى القذائف الألمانية على بلاده ... قال :

« من بعض الديار الألمانية يشدو المازفون بالنشيد الخامس العظيم ... كأن لا حرب هناك تميت خلال الديار

يكرمون الفن والخراب جاثم

ونصغى فى أكواخنا فتنسرب إلينا الأصداء العلوية بين أزيز الطائرات ونذير الدمار

لحن خالد يحمله أى فضاء ؟ ... يحمله الفضاء الذى يطير عليه القاذفون ليصطرعوا صراع الموت تحت نجوم باردة العيون

واللحن الخالد من أرض إلى أرض ومن سماء إلى سماء ينفذ فى الأسماع والقلوب

٤٥٠٠ ثانيـــة

فى صحبة أم كلثوم

للدكتور زكى مبـارك

لم تسمح الظروف بلقاء الآنسة أم كلثوم بعد الذى دوّناه من لحظات التلاق فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » وهى لحظاتٌ قصار ولكنها كانت جيّاشة بأقباس المعانى ، ولو طالت تلك اللحظات لظفرنا من سحر الحديث بأطايب وأفانين

ولم يكن ذلك الحرمان عن هجر منها أو صدود ، فما يستطيع ذلك الروح أن ينسى أن له مآرب وجدانية من مسامرة أرباب الوجدان ، وإنما شاءت المقادير أن تصرفنا بالشواغل القاسية عن التأهب لمداعبة الأفاعى والصِّلال

وما معنى ذلك ؟

معناه أنى سأتحف أم كلثوم بصورة وصفية تبسم لها فى حين وتَعْبَس لها فى أحايين ، مع العرفان بأنى لم أقل غير الحق فى وصف ذلك الروح اللطيف

وهل لهذه الحمامة الموصلية رُوحٌ لطيف ؟

ما وازنتُ بين غناء أم كلثوم وحديث أم كلثوم إلا تذكرت قول شوقى فى الصوت الحنّان

وَتَرٌ فى اللَّهاة ما للمغنِّى   من يدٍ فى صفائه وليانِه

فهذه الحمامة تغرّد بلا وَعْى ولا إحساس فى نظر من يحكم بظاهر ما يندُّ عن شفتيها الورديتين من أغانٍ وأحاديث

فهل تكون فى حقيقة الأمر كذلك ؟

إن كانت أم كلثوم بلا وَعْى ولا إحساس فعلى الأدب والفنّ العفاء . وكيف تُحرَم أم كلثوم قوة الروح وهى بلا نزاع ريحانة هذا العصر وأغرودة هذا الجيل ؟

وأين من يزعم أن قلبه سَلِمَ من الشوق لأغانى أم كلثوم ، وما مرّت لحظة واحدة فى الشرق أو فى الغرب بدون زفرة أو لوعة تثيرها أغانى أم كلثوم ؟

وهل سمع الناس فى قديم أو حديث صوتاً أندى وأعذب من صوت أم كلثوم ؟

تلك الفتاة هى الشاهد على أن الله يزيد فى الخلق ما يشاء ، فتبارك الله أحسنُ الخالقين !

ولكن كيف نحلّ هذه المشكلة : مشكلة الفرق بين غناء أم كلثوم وحديث أم كلثوم ؟

كأنما يخلق الألفة والانسجام حيث أبناء الفناء لا يعرفون الألفة والانسجام

وكأنما ينفث التوفيق والتنسيق فى قلوب تنحدر إلى قرار سحيق ... »

* * *

على أننا لا نظلم الشعراء النابهين فنقول إنهم يتخلفون حيث يسبق المصلّون المجهولون . ففى الحرب الحاضرة شعر حسن لبعضهم لا يمنعنا أن ننقله إلا أنه لا يقبل الإيجاز والاقتضاب

أما فى الحرب الماضية فقد ارتفع فيها « كبلنج » بالشعر الحماسى إلى الذروة التى رفعته الشهرة إليها ، ونظم تلك القصيدة التى لا يسمعها انجليزى إلا سرت فى عروقه هزة الحمية وصالت نفسه صولة الكبرياء . ومنها :

الشأو هناك ...

لا يبلغنا إليه رجاء خادع ولا وهم كذوب

بل فداء من معدن الحديد

فداء بالأوصال والعزائم والأرواح

إنه لواجب واحد علينا

وإنها لحياة واحدة نعطيها

من ذا الذى تنهض قدماه وقد هوت الحرية

ومن ذا الذى يموت وقد عاش الوطن ! »

* * *

وموعدنا الحين بعد الحين بما نختار من هذه الشذرات ، وهى على قلتها بالقياس إلى غيرها مما تتسع له صفحات وصفحات

عباس محمود العقاد

الحل سهل : لأن العقدة مشتركة بينها وبين محمد عبد الوهاب وإليه وإليها انتهى الإبداع فى عالم الغناء

عبد الوهاب رجل أعمال وأم كلثوم رجل أعمال ، وذلك سر العبقرية عند هذين الروحين ، وهو الدليل على أن الله لا يهب المواهب لأهل التخاذل والانحلال ، والزهد فى جمع الثروة هو الآية الحق على التخاذل والانحلال . وغضبةُ الله على من يحسبنى أمزح فى هذا الحديث !

دعتنى أم كلثوم مرة لتناول العشاء فى أحد مطاعم القاهرة فأجبت الدعوة ، ولكنى رأيت أن أدفع عن نفسى ، فاستظرفتنى جداً وصرّحت بأنى لم أقل غير الحق حين قلت : « إنى أعظم من الجاحظ ولو غضب الدكتور طه حسين »

ولن أنسى أبداً موقف القَصَبْجى الملحّن وقد زعم أنه صائم مع أن العَشاء كان فى جوف الليل ولم نكن فى رمضان ولا شعبان ، ولكنه كان يعرف أن « حمامة الشرق » لا يسرها أن يكون القصبجى رجلاً له أسماء تغنّا وتجوع كسائر الناس ، وكيف يكون فناناً وهو يحس الظمأ والجوع ؟!

أشهد أن البخل حق ، وأنه من خصائص أهل العبقرية ، وإلا فكيف صحبتُ الدكتور طه حسين عشر سنين ولم أتناول الغداء فى داره غير مرة واحدة لظروف قهرية قضت بأن نُمضى النهار كله فى درس شواهد الشعر المنحول سنة ١٩٢٦ ؟

وكذلك يكون شقيق الروح محمد عبد الوهاب ، فهو أبخل من الجارم بمراحل طوال ، وهو إلى اليوم لا يدرك أن الدينار قد ينقسم إلى دراهم ، وأن الدرهم قد ينقسم إلى فلوس ، إنما الدينار دينار ، فإذا انقسم فهو هباء ، وإليكم هذا الخبر الطريف :

نشر الموسيقار محمد عبد الوهاب كلمات فى مجلة الاثنين عن ذكرياته فى زيارة العراق ، وقد قرأت تلك الذكريات وأنا فى بغداد فحزنت لأنى عرفت منها أن الأستاذ الصراف خدعه فزيّن له الذهاب من دمشق إلى بغداد فى سيارة عربية لا انجليزية ، وكانت النتيجة أن يقضى ثلاثة أيام بلياليها فى الطريق بين دمشق وبغداد ، فصممت على تأنيب الأستاذ الصراف حين أراه ، ثم عظُمت الدهشة وعظم الاستغراب حين عرفت من الأستاذ الصراف أن الموسيقار عبد الوهاب هو الذى اختار تلك السيارة لأن أجرتها أرخص بمبلغ لا يقل بحال من الأحوال عن دينارين !

ماذا أريد أن أقول ؟

لعلى أريد القول بأن الاهتمام بجمع الثروة يدل على الشغف بحب الدنيا ، وحب الدنيا هو الأصل الأصيل لحيوات النوازع والغرائز والأحاسيس

وحب الدنيا كان السرّ فى عبقرية أحمد شوقى أمير الشعراء ، فقد صحبتُه مرات كثيرة وهو يطوف على أملاكه بالقاهرة وضواحى القاهرة ، وشهدتُ كيف ينظر إلى كل بقعة من أملاكه وقلبُه يهتف : « كلُّ مليحة بمَذاقِ » ورحم الله شوقى ، فما مات إلا وهو حزينٌ حزن على فراق أملاكه الواسعة بأرجاء هذه البلاد

وحب الدنيا هو السرّ فى عبقرية عبد الوهاب وأم كلثوم ، عبد الوهاب ساكن العباسية وأم كلثوم ساكنة الزمالك ، وهل يستطيع مخلوق أن يقول إنه على شىء من الأدب أو الفن وجيوبه خاوية ؟

آه ، ثم آه ! !

كنتُ غنياً وكانت لى أموالٌ مرصودة فى مصارف مختلفات ، ثم شاء القَدَر أن أرفّق بمرضاى من المِلاح فأنفق عليهم ما أملك ، فأنا اليوم فقير ، فقير ، فقير ، بحيث ترفض أم كلثوم أن تكون « ليلى المريضة فى الزمالك » بحجة أنها صحيحة ، لا بحجة أنى لم أعد أملك البِرّ بمرضاى من ذوات الخد الأسيل والطَّرف الغضيض !

وهجرتى إلى العراق هى سبب هذا البلاء ، فقد أعدانى العراق بالكرم وراضنى على البذل والجود ، فأنا اليوم بلا ذخيرة ولا عتاد

ألم تسمعوا أنى كنت أتمرد على رؤسائى بالجامعة المصرية وبوزارة المعارف ، فكنت أملك الزهد فى مناصب الحكومة فى كل وقت ؟

فإن صح أنى صبرت أخيراً على خدمة الحكومة أربع سنين فاعلموا أن أخاكم مُكرهٌ لا بطل ، وأنه لم يتمرغ فى تراب « الميرى » إلا وهو فى فاقة وإملاق

وآه ثم آه من الصبر على خدمة الحكومة أربع سنين !

وهل خُلق الشعراء لهذا الاستعباد ؟ وهل كان ذلك هو المصير المنشود لمن يؤمنون بفاطر النخيل والأعناب ؟

ولكن لا بأس فمن واجب الشاعر الذي أخضعه الفن للقوافي والأوزان أن يقبل الخضوع لقيود الوظيفة وقيود المجتمع وما قيمة الفلسفة إن لم تحسن تعليل الصبر على قيود الوظيفة وقيود المجتمع ؟

وما حديث الـ ٤٥٠٠ ثانية في صحبة أم كلثوم ؟

كانت النفس حدثتني بوجوب السفر إلى الإسكندرية في أواخر أيلول لأرى كيف ينحجزر الصيف عن الخريف في تلك الشواطئ الفيح ، فرأيت على المحطة فتى من عُصبة الفن الجميل وهو يهتف : « أما ترى ثومة يا دكتور ؟ »

والتفتُّ فرأيت إنسانة نحيلة تكبح سحر عينيها بمنظارين سمراوين وهي تحاور المودّعين حواراً تقع فيه ألفاظ غلاظ على غير ما يُنتظَر من فتاة لها تلك المكانة بين البيض الخفرات من بُنيّات وادي النيل

وأقبلتُ فسلّمتُ تسليم الشوق بهيبة واحتراس ، لتفهم أني لا أريد نضالها في ميدان التنكيت ، ولكن الشقية تنابت وتجاهلت رغبتي في البعد عن هذا الميدان ، ولم تكن إلا لحظة حتى اقتنعتُ بأن الزمالك تجاور بولاق !

ما الذي يحمل ثومة على خلع البرقع وهي تحاور الرجال وفيهم من لا يتأدب وهو يحاور النساء ؟

لم يبق بين ثومة وبين الفصيلة النسائية أية صلة ، فهي اليوم رجل أعمال ، وهي أبو كلثوم لا أم كلثوم ! !

وقتُ ثومة لا يضيع في مراجعة الأدب القديم والأدب الحديث — كما تسمعون — وإنما يضيع وقت ثومة في تدبير المال لاقتناء النفائس من البيوت والبساتين

وثومة ليست غبية ، فهي تعرف أن البيئات الفنية يكثر فيها الوباء ، وأنه لا موجب لطاعة الفطرة التي يتجلى فيها الحنان النسوي ، لئلا يكون من أثر ذلك أن تدور حولها الأقاويل والأراجيف في زمن الأقاويل والأراجيف

ومن أجل هذا لا تجيد أم كلثوم ممثلة إلا في مواقف الانفراد ، فهي كتلة من الثلج حين تحاور رجلاً في مواقفها التمثيلية ، وهي نارٌ تتأجج حين تخلو إلى نفسها في موقف من مواقف التذكر والاشتياق

العزلة هي الفرصة الوحيدة لانفجار العواطف في صدر أم كلثوم ، لأن هذه الإنسانة تتوهم أن المجتمع لا يُحسن غير التجريح والاغتياب ، فهي تلقاه بلسانٍ حديد لا يُجيد غير السخرية والاستهزاء ، فإذا اعتزلت الناس أو توهمت أنها اعتزلت الناس صارت أمَّ كلثوم الحقيقية بشفتيها الورديتين وثناياها اللؤلؤية وأنفها المسنون . ولو استبحتُ منازلة هذه الشقية لقلتُ إن ابتسامها يصدُر عن وادٍ سحيق هو وادي الخلود !

وما أسعدَ من يظفر بابتسامة صفية من أم كلثوم ولو لحظة واحدة من عمر الزمان !

ها نحن أولاء في محطة القاهرة ، وإني وإياها لمختلفان ، فهي ذاهبة إلى المنصورة وأنا ذاهب إلى الإسكندرية ، وسنفترق في طنطا كارهين أو طائعين

وأرفق فأقول : ألا تحتاج الحمامة الموصلية إلى رجل يضايقها لحظات ؟

فتجيب : وأنت ؟ ألا تحتاج إلى من يضايقك ساعات ؟

ثم نأخذ في الحديث بعنف وحاجة وسيال ، فهل كان بيني وبين هذه الروح ثأرٌ قديم ؟ وهل سمعتْ أني اغتبتها فقلت إنها ريحانة هذا العصر وأغرودة هذا الجيل ؟ وهل نقل الوشاة أني زعمتُ أنها أطيب من العطر وأرقّ من الزهر الطلول ؟

لا أعرف ما ذنبي عند أم كلثوم ، ولم أخرج على الأدب فأقول إنها خير ما أخرجتْ مصرُ من ثمرات ، وإنها ألطف روح سكن الزمالك وتخطّر في شارع فؤاد ؟

ما هفوتُ في حق أم كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت إن حنجرتها مسروقة من الحمائم الموصلية ، وكان الرأي أن أقول إن حمائم الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية

ثم تشتط أم كلثوم في المزاح الغليظ ، ولكن مع مَن ؟ مع الرجل العليم بمواقع أهواء القلوب ولو سُدل على سرائرها ألف حجاب !

هل تذكرون الصباح المغطّى بالأوراق الزرق ؟

هو قلبُ أم كلثوم ، لو تعلمون !

وبلفظة واحدة نزعت تلك الأوراق لأواجه ذلك القلب الوهاج

فما هى تلك اللفظة السحرية ؟

قلت : إن حمامة الشرق تستر بمزاحها الغليظ قلباً يحترق

فالتفتت الفتاة الفنانة رشيقة وهى تستزيد ، فقلت : وقد حدثتنى ليلى أن الأفعى تغفو أوقاتاً طويلة ثم تستيقظ حين تجد الفرصة لتخدير الفريسة بالسم الزعاف

وبهذا الكلام تنبهت أم كلثوم من سُباتها المتكلَّف المصنوع ، وابتسمت ابتسامة لن أنساها ما حييت ، فقصصتُ عليها قصة ليلى حين قرأتْ فى كتب التاريخ الطبيعى أن الحيات تثور وتهتاج حين ترى إنساناً أخضر العينين ، فزعمت الشقية أنها لم تكن تعرف أنى أخضر العينين ، فقلت : وما السرّ فى نفرتك منى أيتها الرقطاء ؟

وترفقت أم كلثوم وتلطفت بعد التأبى والتمنع ، وانطلقت تتحدث بلا تكبر ولا ازدهاء ، فمن قال إنه عرفها قبلى فهو كاذب ، لأنى أول من نزع الأوراق الزُّرق عن ذلك القلب الوهاج ، وأنا أول من فرض على أم كلثوم أن تعرف أن الدنيا فيها أمانة وصدق وإخلاص

من حق أم كلثوم أن تكون فى دنياها رجل أعمال ، فنحن فى عصر سخيف لا يقيم وزناً لمواهب أهل الأدب والفن إذا فاتهم سناد الجاه والمال

ولكن ... ولكن دنيا أم كلثوم صدّتها عن الانتفاع بأرباب المواهب ، فلو كان لأم كلثوم مستشار أمين لوصلت إلى الإعجاز فى الغناء والتمثيل ، فلا عفا الله عمن صدُّوا هذه الروح عن الاستئناس بأذواق أهل الآداب والفنون !

وهل أنسى بشاعة الاستشار بتصوير عصر الرشيد ؟

كان يمكن أن يكون فِلم « دنانير » أعجوبة الأفلام التاريخية لو كانت أم كلثوم تعرف أن فى مصر رجالاً أدقّ ذوقاً وإحساساً من فلان وفلان ، وأن الانتفاع بآراء هؤلاء الرجال قد يعود عليها بالخير الجزيل ، ولكن أم كلثوم امرأة وإن كانت رجل أعمال ، والمرأة لا تفلح حين تتوهم أنها أعقل من الرجال

فلم دنانير جيل جيل ، ولكن تعوزه قوة الروح ، ولأم كلثوم أن تغضب كيف تشاء ، ولفلان أن يقتل نفسه من الغيظ ، فقد أخلف الظن به كل الإخلاف

إن هذا القلم يلخص رأينا فى أم كلثوم : فهى لا تجيد إلا عند العزلة والانفراد

فأين من يجعل أم كلثوم من أزهار المجتمع ؟

أين من يحوّل هذه الفتاة إلى روح لطيف يشيع فى المجتمع معانى الأنس والانشراح ؟

إن كانت هذه الفتاة تحب أن تكون « ابن بلد » فقد ظفرتْ بما تريد ، أما إن كانت تحب أن تكون أعظم من أم كلثوم فلذلك حديث غير هذا الحديث

ثم وصل القطار إلى طنطا فانتقلت إلى قطار المنصورة وبقيتُ أتشوف إلى الأسكندرية ، وذلك آخر العهد بتلك الروح ، فإن رضيت عن هذا المقال فقد نلتقى فى مصر الجديدة أو فى الزمالك ، وإلا ......

زكى مبارك

محاورة أفلاطون الخيالية

حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

يعتبر سقراط أول من وضع الأسلوب الحواري الاستنباطي أسلوب التهكم الذي يقف فيه نفسه موقف الجاهل ، ثم يسوق أسئلته البريئة اللاذعة التي تصير بالمسئول إلى حال التشكك والحيرة؛ غير أن سقراط لا يلبث أن يستدرج محاوره إلى الغاية الخفية التي يضمرها ، والتي يريد كشفها بأسئلته ونقاشه ، فيتجلى الأمر ويصل إلى النتيجة ، ولا يجد محاوره مفراً من التسليم له بوجهة نظره من غير أن يقصد إلى ذلك

ولقد نهج أفلاطون فيما كتبه — ولا سيما في جمهوريته ومحاوراته — منهج أستاذه سقراط : ففي « الجمهورية » مثلاً يعالج مبدأ العدالة في مدينته الفاضلة بأسلوب استنباطي حواري على لسان سقراط نفسه . غير أن الحديث يتشعب به فينتقل من موضوع إلى موضوع ، ومن بحث إلى بحث ، حتى يخيل لقارئه أنه يكاد يفقد الفكرة التي بدأ بها موضوعه الأول ، ولكن لا يلبث حتى يعود إليها

ومما عالجه أفلاطون في « الجمهورية » موضوع التربية . وآراؤه فيها — وإن كانت قد أصبحت قديمة كبعض فلسفته — تستحق إيرادها هنا كتمهيد لتلك المحاورة الخيالية التي سأنقلها للقراء من الإنجليزية ، والتي دارت بين أحد المربين الإنجليز وبينه حين بعث منذ أربع سنوات ، بعد أن مر على وفاته ثلاثة وعشرون قرناً

يرى أفلاطون في « الجمهورية » أن هناك ثلاثة أنواع من الناس : نوع وهبه الله الحكمة والذكاء، وهؤلاء يربّون إلى أن يصلوا إلى مرتبة الحكام الفلاسفة ، وهم الساسة المفكرون ، ذوو الأمر والنهي والرأي المطاع ؛ ونوع دونهم في الذكاء والقدرة الفلسفية ، وهؤلاء يربّون ليكونوا مساعديهم في الإدارة والتنفيذ وليكونوا رجال الجيش الذين يحفظون النظام داخل الأمة ويذودون عن حياضها في الخارج ؛ ونوع في المرتبة الدنيا غير الموهوبة التي لا تصلح إلا للزراعة والتجارة والصناعة ، وهؤلاء يكوّنون جمهرة الشعب وعامته

والمحاورة الخيالية التي سأوردها هنا من وضع الأستاذ كرُسمان Crossman بجامعة اكسفورد . وقد أذاعها من محطة لندن ضمن سلسلة أحاديثه التي تشمل أيضاً : أفلاطون والديمقراطية الانجليزية، أفلاطون والأسرة الانجليزية، أفلاطون والاشتراكية، أفلاطون والنظام الفاشستي الخ[1] . وها هي ذي المحاورة :

أفلاطون للمربي : يقال إنكم أنتم معشر الإنجليز مهتمون بالتربية ومعضلاتها ، ومصممون على بنيان نظامها على أسس قوية لأنكم تدركون أن تربية النشء تربية صحيحة ، إنما هي عامل فعال في إصلاح شؤون الدولة ، وأن سلامة الأمة لا تكون إلا بالتربية الحقة

المربي : نعم ، الأمر كذلك . ولقد خطونا خطوات مباركة في الخمسين سنة الماضية . ولعلك لا تدري أننا حتى سنة ١٨٧٠ لم يكن لنا نظام تعليم حكومي موضوع ، ولم يكن عندنا تشريع للتعليم الإجباري ، ولم تكن عندنا كليات ثانوية للبنات بجانب العدد القليل من مدارس البنين الثانوية الصالحة ، ولم يكن لغير أتباع الكنيسة الانجليزية حق في التعليم العالي مهما كانت ثروتهم . أما الفقير فلم يكن له نصيب من التعليم الجامعي ولو كان من النابغين . ولكن كل هذا قد تغير الآن . فالتعليم الإجباري إلى الرابعة عشرة ، والتعليم الثانوي إلى الثامنة عشرة . وهو نصيب نسبة كبيرة من الناشئة التي هي أهل له . وعندنا عدد لا بأس به من الجامعات التي تعينها الحكومة ماليًا ، والتي يتلقى فيها الشباب التعليم العالي إلى الثانية أو الثالثة والعشرين

أفلاطون : حقاً لقد كنتم نشطين في ميدان التربية خلال هذه الحقبة الماضية ، وإني لأهنئكم على أنكم أبيتم أن تدعوا التربية كما كانت في يد الأسرة فقط ، أو غيرها من الهيئات التي لا تقدر هذه التبعة ، تبعة تنشئة الجيل القادم . ولكني أود أن أعرف جليًا الأسباب التي من أجلها وجهتم كل طاقتكم لجعل التعليم العام حقاً لكل فرد من أفراد الشعب

المربي : مما لا شك فيه أن من بين الأسباب التي دعتنا لهذا إعاننا بمبدأ العدالة . فنحن شعب ديمقراطي ، ونعتقد أن التربية

(١) نقلا عن كتاب Plato to-Day للمؤلف R. H. Crossman

يجب ألا تكون وقفاً على طبقة خاصة من الشعب ، بل يجب أن تكون حقاً مشاعاً لكل فرد . وما فائدة أن تخول للفرد حق الانتخاب واختيار من يمثله فى المجالس النيابية إذا كان هذا الناخب جاهلاً لا يحسن اختيار ممثله . وتربية الشعب هى الوسيلة التى بها يكون للانتخاب أو التمثيل النيابى معناه ومغزاه ، فلا يكون له ذلك المظهر الصورى التقليدى . ومن السهل أن يكون للأمة حكومة نيابية ، وهيئة برلمانية ، ومؤسسات ديمقراطية ، هى نتيجة الانتخابات العامة . ولكن كل هذه مظاهر خادعة ما لم يكن الشعب متعلماً . والمؤسسات الديمقراطية لا تجعل الشعب ديمقراطياً ، ما لم يكن أفراده قد عرفوا معنى الديمقراطية واستطاعوا أن يتمتعوا بها ، وأن يستفيدوا منها . ومعرفة معنى الديمقراطية واستغلالها الحكيم ليس شيئاً يسقط من السماء ، بل لا بد من خلقها فى نفوس الشعب من المال والمجهود . ونحن جادون فى هذا السبيل بالتربية التى نقدمها لأبناء الشعب فى مدارسنا . وليست التربية عندنا أن نصُبَّ عقول الناشئة فى قوالب منتظمة ، فتخرج قطعاً منتظمة تركب فى عجلات المحرك الحكومى ، فتؤدى وظيفتها دائرة مع هذه العجلات دوراناً آلياً ، حتى إذا عراها الصدأ أو تحطمت ألقينا بها جانباً ، واستبدلنا بها غيرها ، والحقيقة هى أننا لا نريد أن نجعل أبناء الجيل القادم صناعاً مهرة فحسب ، ولكنا نريدهم أن يكونوا مواطنين صالحين فى شعب ديمقراطى ، قادرين أن يقوموا بدورهم بنجاح فيما هم أهل له ، سواء أكان ذلك فى ميدان الكرة ، أم فى نقابة التجار أم فى المجلس المحلى أم فى دار النيابة . نريد أن ننشئهم بحيث يعترفون كيف يحكمون أنفسهم ويساعدون من يحكمهم . فأنت إذاً ترى أن غاية التربية فى مدارسنا ليست إقدار الناشئة على كسب الخبز ونيل الوظائف ، ولكن الغاية من تعليمهم التاريخ والجغرافيا والاقتصاد هى أن يصبحوا فى أمتهم أعضاء يقدرون حقوقهم المدنية ، ويعرفون واجب الأمة عليهم

أفلاطون : صحيح كل هذا ، وهو يطابق تماماً ما قرأته لأحد ساستكم إذ يقول : إن التعليم العام للشعب ما هو إلا تجربة فى الحكم الذاتى . ولقد كان لهذه العبارة أثرها ومعناها فى نفسى لأنى أنا كنت قد حاولت فى مدينتى الفاضلة أن أجعل جميع أفرادها يشتركون فى حكومتها الذاتية . غير أن تجربتى لم تنجح فحدثنى إذاً عن نتائج تجربتكم التربوية هذه ، وهل توقظ فى الشعب شعوره بضرورة اشتراكه فى أمور السياسة الخارجية والداخلية ؟

المربى : نعم ، أعتقد ذلك ، فالشعب قبل الحرب الماضية مثلاً ما كان ليعنى بالشئون الخارجية ، أما الآن فالشعب جميعه يعنى بالسياسة الخارجية ، ووزير الخارجية فى البرلمان أكثر النواب حديثاً ، وأكثرهم إجابة عن الأسئلة المتنوعة التى توجه إليه من كل حزب ومن كل صوب ، ولا تسمع الآن فى أحاديث الأسرة الإنجليزية إلا أخبار الحرب والسلم

أفلاطون : ولكن هل تظن أن لاهتمام الشعب بالسياسة الخارجية وتدخله فيها كما ذكرت أثراً فى اعتدال هذه السياسة وتحسنها ؟

المربى : من غير ما شك . وآية ذلك أن الحكومة لا تستطيع الآن – كما كانت تستطيع من قبل – أن تقرر فى الخفاء أى شأن من شئون السياسة الخارجية

أفلاطون : إن سؤالى مرة أخرى هو : هل كان لاهتمام الشعب بالسياسة الخارجية أثر فى اعتدال هذه السياسة وتحسنها ؟

المربى : أجل ، لقد جعل اهتمام الشعب بالسياسة الخارجية الحكومة تدرك تبعة تصرفاتها ، وأنها مسئولة عنها أمام هذا الشعب الذى انتخبها ، فهى إذاً لا تستطيع أن تعمل ما تشاء ، ولكن ما يشاؤه الشعب

أفلاطون : ولكن هب الحكومة أرادت أن تفعل شيئاً تراه هى صالحاً ، ولا يراه الشعب كذلك ، فما هو الموقف ؟

المربى : نحن نعتقد أنه من الحكمة أن يفعل الشعب الفعلة الخاطئة بإرادته وحريته متى قرر ذلك بدلاً من أن يكره على عمل الصواب ...

أفلاطون : كأنى بك تعتقد أن الحرية خير من الفضيلة ؟

المربى : لا ، لا أعتقد هذا . ولكن الرأى عندى أن الفضيلة مستحيلة بدون الحرية . إنك لا تستطيع أن تكره الطفل على أن يكون خيّراً ، بله الكبار من الرجال والنساء

أفلاطون : قد تكون على حق ! وإذاً فلماذا تريدون الحكومة ما دام الشعب يريد أن يعانى التجارب القاسية بأفعاله الخاطئة وتصرفاته الحمقاء ، وهو مطمئن لأنه قام بها بمحض حريته ومجرد رغبته . ألا ترى أن الأصلح إلغاء النظام الحكومى نهائياً !؟

المربى : إن أسئلتك كالحلقة المفرغة لا يدرى لها طرف . وإنك لتلعب بعبارتى وتتهكم حتى ليحسبها السامع جوفاء ...

لا يختلف اثنان فى أنه يجب أن يحال بين الأفراد وبين أى تصرف يتنافى مع حرية غيرهم . وهذه هى الحكمة فى قيام الحكومات ، ولكن يجب أن تترك الحرية لأفراد الشعب بقدر المستطاع ليقرروا بأنفسهم مصير شئونهم . إن الهدف الذى نرى إليه — نحن المربين — فى هذا العصر هو أن نمد مواطنين يحسنون استخدام حقهم الانتخابى ، ويعرفون كيف ولِمَ ينتخبون ، فلا ينتظر منهم أن يكونوا خبراء فى شئون السياسة والاقتصاد ، ولكن يكفى أن يكونوا ذوى بصر وفكر بهما

أفلاطون : ألست تقر أنكم لم تكوّنوا بعدُ هذا النوع من الرجال ؟ فلِمَ إذاً تتعجلون — قبل أن تتم مشروعاتكم التعليمية وتنضج — فتكلون إلى أنصاف المتعلمين من الشعب الفصل فى شئونكم السياسية ؟ إن هذا لقلب للموضوع وللوضع المنطق ! الواجب أن يكون عندكم أولاً نظام عام للتربية يكوّن هؤلاء المواطنين الذين وصفتهم فى نقاشك ، وحينئذ تكلون إليهم مطمئنين الإشراف على سياسة الدولة داخلية وخارجية ، غير أنى أعتقد أنكم متى كوّنتم هذا النوع من المواطنين كامل التربية لم تعد ثمت حاجة إلى أية حكومة

المربى : لقد عدت بنا من حيث بدأنا . إن العالم لم يصل بعد إلى المثل الأعلى ، ولن يصل إليه ، فلا مفر من مواجهة الواقع كما هو ، ونحن فى بلادنا نعتقد أننا إذا وكلنا إلى المواطنين العاديين الإشراف على أمورهم ومستقبلهم فإنما نعطيهم الحرية التى بدونها نرى الحديث عن الفضيلة والخلق لغواً

أفلاطون : لقد قلت الآن إن الغاية من قيام الحكومة هو منع الأفراد أن يتعدوا فى تصرفاتهم إلى حقوق الآخرين ، وإلزامهم أن ينصرفوا لأمورهم ويدعوا غيرهم وشأنهم ، فإذا كان الأمر كذلك فمن واجب الحكومة ، فى سياستها الخارجية ، أن تحول أيضاً بين أفراد شعبها وبين تعديهم إلى حقوق غيرهم من أفراد الشعوب الأخرى . وأنت الآن تريد مواطنى بلادك أن يوجهوا الحكومة فيما تبحثه من الشئون العالمية ، وأن يتدخلوا فيما تقرره منها . ومعنى هذا أن سياستكم الخارجية ستكون طبعاً خاضعة لنفوذ ذوى المصالح الشخصية من المواطنين الذين همهم الوصول إلى منافعهم المادية على حساب الشعوب الأخرى

المربى : كلا ، إننا نتوقع عكس هذا . إن عامة الشعب لا ترغب فى الحرب ، وليس له مطامع مادية أو استعمارية ، إن هذه إلا مطامع تجار السلاح والذخيرة والرأسماليين . أما عامة الشعب فتريد السلم والعدالة العالمية

أفلاطون : هذا جميل حقاً ، ولكن هل يعرف أفراد الشعب كيف يحققون هذه المبادئ العالمية السامية ؟ دعنى أنبئك وما ينبئك مثل خبير ؛ إن فن السياسة فن دقيق صعب المراس ، وإن علوم الحرب ليست من العلوم التى تدرك فى يوم ؛ فهل ترى أن أفراد الشعب خبيرون بفنون السياسة عليمون بتاريخ العلاقات الدولية ؟ أو هم فقط غيورون متحمسون تدفعهم العواطف النبيلة ، فإذا ما صدمتهم الحقائق الصماء ذهبوا كفقاعات الصابون فى الهواء

المربى : نحن الآن جادون فى تعليمهم فن السياسة والعلاقات الدولية . ولكن الحق هو أن هذا العالم يحتاج إلى قليل من المكر السياسى ، وكثير من الخلق المستقيم

أفلاطون : نحن على وفاق . فإن كل ما يحتاج إليه المواطن هو العواطف الخلقية القوية القويمة . ولكن هذه العواطف وحدها لا تكفى لتكوين من يصلحون للحكم . وأنتم فى تجربتكم التى تقومون بها الآن بتربية الشعب تحاولون أن تُعدّوا جيلاً يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه . وعندى أن هذا الجيل يحتاج إلى شىء آخر بجوار العواطف الخلقية التى أشرت إليها . إن مهنة السياسة تحتاج إلى مهارة ولباقة عقلية . وإذاً فلا بد أن نفرق بين التربية التى يحتاج إليها المواطن العادى والتربية التى يحتاجها الحاكم السياسى . فهذا الأخير يجب أن يعرف شيئين : قواعد السياسة التى يريد أن يتبعها ، والعالم الذى يريد أن يطبق فيه هذه القواعد . فهو باحترافه السياسة يشبه كل صاحب مهنة فقد تجد الرجل المغرم بالصور الجميلة ، الذى يدرك الجمال أنى يكون ويحبه بكل قواه ، ولكن هذا الإغرام أو الحب لا يخلق منه رساماً أو مصوراً . فالمصور لابد له من معرفة قواعد التصوير ، وخواص الألوان ومزجها ونتيجة أخلاطها ، وأنواع الأوراق والمواد التى يستعملها فى تصويره ، وأصناف الفراجين التى يستخدمها وهلم جرا . هذا إلى الهبة الطبيعية التى تكون فيه . والأمر كذلك فى الحكم ؛ فليس يكفى أن يكون الحاكم ذا ميول خلقية نبيلة كحبه للعدل والسلم ، لا ، بل لا بد من أن يعرف أصول السياسة ، وحوادث العالم اليومية ، العالم الذى سيطبق فيه أصول سياسته . فأمر السياسة العالمية الخارجية إذاً ليس

عراك في غير معترك
وحكايات أخرى ...

للأستاذ محمد متولى

ذات صيف، إذ كنت صبياً فى المدرسة الابتدائية، وكنت فى الريف أقضى عطلتى، صادفت الليلة الختامية للاحتفال بمولد أحد الأولياء هناك، وذهبت أجوس خلال حلقات الذكر ليلتئذ، فإذا (بمجذوب) ناحل هزيل، مأخوذ بشعور ما، يهذى بما هو أشبه بالدمدمة أو «الطمطمة» منه إلى الكلام الواضح المفهوم، بينا وقف بجانبه فتى شاب يصلح من شأنه وهو يقول له: «وحّد الله وحد الله ...» ودفعنى فضول المعرفة فرفعت قامتى القصيرة إلى الفتى وسألته: «الراجل دا بيقول إيه ؟» فأجابنى فى ابتسام وإشفاق أنه يتكلم «اللاوندى»

ولقد كنت أنتظر من صديق الأستاذ زكى طليمات، بعد أن لفته فى مقاله السابق إلى وجوب «موضوعية» كلامنا، كنت أنتظر من هذا الصديق أن يكون أكثر لباقة فلا يدفعه الدكتور بشر فى المزالق فيندفع وينزلق ويتورط فى مسائل علمية وفنية، ويشط بعيداً، ويجيئنا بحكايات متناثرة متنافرة مشحونة بالزيف والبهرج، حتى لقد غَمُض فحسبته، أول الأمر، يقصد بألفاظه إلى رموز خاصة بنفسه، كما فى الصوفية؛ وخُيّل فخلته يتكلم ذلك «اللاوندى» الذى سمعت فى حلقة الذكر منذ ربع قرن من الزمان، وجئت أردد له قول صاحبى الريفى: «وحد الله ... وحد الله ...»

***

كان العراك بين جبهتى بشر فارس والشاعر على محمود طه فى غير معترك، ولكن الأستاذ زكى لم ير هذا، لأنه لم يتفق معنا على أن «النقد الفنى» يجب أن يقتصر على تبيين قيمة «الصورة» التى يقدمها الفنان كابداع له وحدته، بخلاف ما كان بين الجبهتين من خلط وتنابذ واتهام. إنما يتصور الأستاذ أنى قصدت بتقريرى أن «العراك كان فى غير معترك» كون رواية «مفرق الطريق» تافهة ممسوخة، وأنا لم أرد غير ما رأيته من ضلال الجماعتين «أصول النقد» فليس ذنبى أن قصر فهمُ صديقى دون إدراك غرضى فى تلك العبارة، وهو قريب بيّن

وأحببت أن يكون العراك فى معترك، فبينت أن رواية بشر ليست من الرمزية فى شىء، كما دلّلت على أن الدكتور المؤلف لا يفرق بين «رموز الصوفية» و «رموز الفن»، مع أنهما عمليتان تختلفان «سيكلوجياً»؛ ولكن بشراً وزكياً عقدا جلستهما وقررا كتابة الرد على هذا الرأى، ولعل لذة المعرفة فاتتهما، أو لعل غريزة «حب الغلبة» غلبتهما فحجبت جمال المعرفة عن بصيرتيهما، فنسيا موضوع الكلام وراحا يتفلسفان ويتمالآن!

وحدّ الموضوع كما قلنا - وكما يقرر «ريبو» - هو أن الرمزية فى الفن «تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً... فإذا الناس والأشياء تمرّ دون أن تنطبع بزمان أو مكان، ولكنها تمضى وما ندرى أين حصلت ولا متى؛ فلا هى (تمت) بصلة لأى بلد، ولا هى تمثل عصراً بذاته». والدكتور بشر يعرض علينا، فى مفرق الطريق، صورة محلية «تجرى حوادثها فى مصر فى أحد شوارعها، أمام صف من المنازل المنخفضة على

من السهولة بحيث يمكن أن يصير المرء بها وفيها خبيراً. ولهذا لا أفهم كيف يستطيع مواطنوك أن ينقدوا سياسة الحكومة وأن يوجهوها

الربى: إن المواطنين لا يستطيعون طبعاً أن يفهموا دقائق الأمور، ولا أن يحددوها أو يديروها، ولكنهم يستطيعون أن يقرروا اتجاهات السياسة العامة التى يجب أن تتبعها الحكومة

أفلاطون: أخالفك فى هذا. لأن الاتجاهات العامة من المكان والأهمية بحيث تحتاج إلى فيلسوف لحل معضلاتها التى هى معضلات الحرب والسلم، والاعتداء والدفاع، ولكن مهما يكن من الأمر فلنترك بحث السياسة الخارجية، ولنرجع إلى موضوع إصلاحاتكم فى التربية ونظمها. لقد ذكرت فى حوارك أن غايتكم المثلى فى التربية هى أن تكون عامة لكل أفراد الشعب، ولعلى لا أكون بعيداً عن الصواب إذا قلت إنك تريد «أن تكون فرص التربية والتعليم للجميع سواء». فما الذى تريد أن تصل إليه بهذا كله؟!

(يتبع)

عبد العزيز عبد المجيد

شكل المنازل التى تصاب فى الأحياء القديمة » . فهل حاول أحد الفارسين أن ينقض هـذا التحديد الذى يجرد مسرحيتهما من صفة الرمزية ؟!

اللهم لا شيء من ذلك ، ولـكن بشراً يدفع زكياً ليقول أشياء لامعة ، ويذكر أسماء رنانة بينها وبين مسئلتنا من البعد قدر ما بين الدكتور بشر ومفهوم الرمزية فى الفن . وهذه الأشياء هى الحكايات التى استغنيا بها الفارسان على هامش المسئلة ، والتى أتناولها الآن بالتفنيد للتدليل على ما ذهبت إليه من أن صاحبينا يجترئان ويتأملان كتب الفلسفة والفن بالاجتهاد ، ويقرآنها كما يقرآن روايات الجيب ـ مثلاً ـ فيزلان ويقعان فيما يجب ألا يقع فيه المخلصون فى طلب المعرفة

وإذن ندور حول الموضوع تمشياً مع منطق الأستاذ طليمات ونعتذر عن هذا اللغو لأستاذنا صاحب الرسالة ، ونعده ألا نعود إلى الكلام « خارج الموضوع » مهما يقل بشر أو زكى أو غيرهما

***

١ — استهل زكى مناقشته بنص للمستشرق « بروكلن » وساقه برهاناً على أن مسرحية بشر عمل أدبى ، وترجمة ذلك النص الدقيقة هى « نحن هنا فى بداية تطور هو تجديد يمكن أن يؤثر فى الحياة الأدبية ، بعد نضال عنيف » وهذا النص بذاته برهان على أن الرواية « محاولة » فجة ، إذا صدقنا أن « بروكلن » يمكن أن يقدم « دراسة » لعمل أدبى فى بعض صفحة من القطع المتوسط ، ولـكن الواقع أن هذا المستشرق يعرض المسائل عرضاً تاريخياً بسيطاً ، ثم هو كالأستاذ زكى لا يحسن النظر فى الأشياء ويتورط فى أحكامه ، لأن بشراً قدم روايته عملاً مطبوخاً وغير ناضج عام ١٩٣٨ فيما أذكر ، بعد أن قدم توفيق الحكيم «شهرزاد» عام ١٩٣٤ مثلاً رفيعاً للأدب الرمزى ، ليس فى أدبنا وحده ، ولـكن فى جميع الآداب ، فكيف لا نصف « بروكلن » بالغفلة إذا اعتبر مفرق الطريق « بداية تطور » مع أننا قبل ذلك وصلنا إلى غاية الغاية برواية توفيق الحكيم ؟!

٢ — والمسألة عند زكى « محصورة فيما إذا كان بشر قد استلهم فى كتابة مسرحيته... من (كذا) الفيلسوف « كانت » . أو هو استوحى فلسفة برجسون ، وهذا الحصر مرفوض لأنه لا معنى له عند من «يشعر» بمعنى الإيحاء أو الإلهام و «يعرف» طريق النظر فى أية فلسفة ، وكذلك هذا الحصر ليس إلا لفاً حول الموضوع ورجوعاً إلى « الخناقة على اللحاف »

٣ — والأستاذ زكى يصف أسلوبه بأنه « أوضح وأدنى إلى الثقافة العربية » وأنا لم أعرف أنى « مستشرق » وإذا كانت المصطلحات الفلسفية غريبة على ثقافته ، فليس هذا من خطئى ولا هو مما يدعونى إلى أن أسوق له عبارات مبتذلة كى يفقه قولى . وعلى أى حال ، كنا نحب أن نحمد الله لأنه « لم يغب عن ذهن زكى » التفريق بين « الصورة » و « الفكرة » فى الفن ، لولا أنه عاد فقال إن « اقتصار الفن على الصورة أو الشكل لا يمنى أن يكون هناك فن رفيع وفن رخيص ، وفن أصيل مبتكر وفن متبع مقلد ، وشاعر يسرق وكاتب يستمد » قال هذا فبدا لنا عقله كصندوق حروف ، ورأيناه هو كأنه « مطبعجى » يرص الحروف وهو لا يقصد من ورائها إلى معنى فى نفسه محسوس ، ذلك أن الفن يجب أن يكون رفيعاً ، وإلا فهو تهريج لا نسميه فناً ، ويجب أن يفيض عن الروح طريفاً لطيفاً ، وإلا فهو شيء صناعى Technique لا حياة فيه ؛ أما عبارة الشاعر الذى يسرق والكاتب الذى يستمد ، فقد نرجو إعادة حروفها إلى «الصندوق» إذا كان ممكناً ، فلا يقرؤها الناس فيسيئوا الظن بصديقى المعروف من أهل الفن

٤ — ويحدثنا الأستاذ طليمات عن (شرائط الفن المقطوع بها) فى المسرحية ، ويحددها بأنها (مراعاة بلاغة العرض لحوادثها وجودة الحبك لمشاهدها ، وبراعة الحوار ولطفه ، وعمق التفكير وانسيابه إلى أعماق النفس يكشف عن خفاياها) ؛ وهذا الحديث يذكرنا بذلك الطراز من نقاد المدرسة القديمة الذين يحتفظون بعدد من (الـكليشيهات) يضيفونها إلى أسماء الشعراء والأدباء ، من غير نظر ولا تأمل ، فإذا الفرق بين شاعر وشاعر أن هذا (جزل الألفاظ) ، وأن ذاك (سلس الأسلوب) ، وأن الآخر (حسن الديباجة) . وزكى معذور فى هذا ، لأنه يتصور الفن تصوراً (ميكانيكياً) لا أثر فيه للعاطفة ، فيبتدع تلك « الشرائط » ويقطع بها وحده ، ويحاول أن يفرضها علينا قبل أن يطبقها ، ولو استطاع تطبيقها لما انطبقت إلا على الرواية الفاسدة التى لا يمكن أن تصدر عن روح فنان ، وإنما يخرجها (مصنع تزييف)

٥ — ولقد كان الأستاذ زكى يستطيع أن يصفنى بالتفلسف لو أنى أخذته إلى مجاهل ما وراء الطبيعة ، ورحت أحدثه فى نظرية المعرفة عند « كانت » أو « برجسون » ، بينما نحن نتكلم فى

مسألة فنية ، ولكنى أردت أن أهديه سواء السبيل ، فأخذت بيده إلى علم الجمال الذى موضوعه الفن ، وبدلاً من أن يبهره هذا النور الجديد رأيته ، كالتلميذ الكسلان ، يركب رأسه ، ويأبى متابعتى ؛ بل رأيته أكثر من هذا يطالبنى بأن أترك مصطلحات علم الجمال إلى ما يدعى أن رجال المسرح اصطلحوا عليه حتى يكون قولى قائماً على الدقة والإحكام فى نظره . يطالبنى بهذا الكفر ، وليته كان صادقاً ، فرجال المسرح لم يصطلحوا على شىء اسمه « الرمزية الفنية » ، وهذا الشىء لا وجود له إلا فى « صندوق حروف » الأستاذ المخرج الممثل

٦ — وفى هذه الحُزُون ، يصل الأستاذ زكى إلى الهاوية السحيقة ، ويدفعه بشر ، ويسقط ، فإذا هو مبقور البطن مجدوع الأنف مصلوم الأذن ، ثم هو ، مع ذلك كله ، يأسف من أجلى رثائياً لأنى لم أتعقب « المراحل الحديثة التى مرَّ بها علم النفس بعد العهد الذى ألف فيه « ريبو » ... » ولأنى لم أعرف « أن علم النفس الذى أفادت منه الرمزية كثيراً قد دخل فى طور جديد تبدلت على أثره أوضاع فى الأدب عامة وفى الرمزية خاصة » وبعد الأسف والرثاء « يود » الأستاذ العالم أن تقف « على آراء علماء اليوم فيما كتبه « ريبو » خاصاً بالخيلة ... وذلك كما وردت (كذا) فى مؤلف كبير يدرس اليوم فى جامعة السوربون بباريس » ويزيّف علينا أن « وليم جيمس » يقول فى هذا الكتاب : « يلوح لنا أن علم النفس عند ريبو فى مسائل المخيلة والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة » وأخيراً لا ينسى حضرته أن يصف وليم جيمس بأنه « الفيلسوف الأميركى المعاصر »

ولو أمكن إيجاد محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المستهترين بقدسيته وتعاقبهم على جناياتهم ، لو أمكن إيجاد هذه المحكمة وقدمنا لها هذا الكلام الذى يرسله صديقى زكى إرسالاً ، إذن لحكمت عليه بالحرمان الأبدى من القراءة والكتابة ، ولحكمت على الدكتور بشر بسحب شهادته بتهمة التحريف والإفساد

أما أنا فأؤكد للأستاذ زكى أنى أعرف موضوعى لدرجة تسمح لى أن أصحح له ولشريكه تلك الأوهام التى يعيشان فيها ؛ فليسمع ، أو ليسمعا

(ا) « وليم جيمس » ليس معاصراً ، بل هو متوفى عام ١٩١٠ ، أى منذ ثلاثين عاماً ، بينما « ريبو » متوفى عام ١٩١٦

(ب) أن Traité de Psychologie (طبعة ١٩٢٣ — ٢٤ ذات الثلاثة الأجزاء) التى يعتمد عليها زكى وبشر أصبحت منسوخة لأنها تطبع الآن فى تسعة أجزاء بزيادات وتفصيلات، وقد ظهر الجزء الخامس منها عام ١٩٣٦ ، وظهرت قبيل الحرب أجزاء لا علم لى بها

(ج) لو أن الأستاذ زكى ذو عهد بالدراسة الجامعية لما قال إن كتاباً يدرس بجامعة السوربون ، كما تقرر الكتب فى المدارس الابتدائية والثانوية، ولعرف أن أى كتاب يمكن أن يدخل الجامعة إنما ليقلب ويجرح ، حتى ولو كان مؤلفه زكى طلبات

(د) « ريبو » الذى لا يرضى زكى طلبات ، هو الذى عرف Dumas قدره فاختاره ليكتب مقدمة الـ Traité ، واعترف بفضله فأهدى السفر إلى ذكراه بعد موته

(هـ) لا وجود لكلمة « الخيلة » ، ولا وجود لكلمة « الاختراع » فى النص الذى ينقله زكى عن « وليم جيمس » . وإذا كان هذا النص مذكوراً فى باب « الاختراع » فقد جاء فى عرض « جيمس » لوصف العملية الفسيولوجية لتداعى الخواطر l'Association des Ideés عند « ريبو » (راجع ص ٢٠ فى كتاب l'Imagination Créatrice) ، ولكن زكى يفتى فيما لا يدرى فيضطر إلى تزييف هذا النص الذى يتعلق بمسألة « بسيكوفيزيولوجية » ولا يتعرض للظاهرة النفسية ذاتها ، والذى يدل على مكان فيلسوفنا المظلوم ولكن من يقرأ ؟! قال « وليم جيمس »

La psychologie de Ribot à ce sujet nous semble encore très dominée par la conception automatique et simpliste de l'atomisme mental, bien qu'il ait insisté — ce qui le rangait parmi les novateurs à l'époque — sur ce fait que les etats associés ne sont pas juxtaposés, mais qu'ils « se modifient par le fait même de leur connextion »

(و) مفهوم علم النفس عند الأستاذ زكى شىء خاطىء لا يزيد على ما نسمعه من بعض زبائن « قهوة بيرون » لأنه يفهم أن الرمزية « أفادت من علم النفس » والأمر بالعكس ، فهذا العلم الذى موضوعه ظواهر النفس هو الذى أفاد من وجود الرمزية .

٦ — وأنا لم أستنكر أن يحاول صديقى زكى أن يناقشنى فى مسائل الفن والفلسفة ، فهل هو يستكبر إذا فسرت له نصاً فلسفياً لم يفهمه فأفسد ترجمته ؟ (راجع النص الفرنسى وترجمة زكى ص ١٥٤٨ — العدد ٣٧٩ من الرسالة) رضى أو لم يرض

نفثات

أمـاه ...

للأستاذ سيد قطب

من نحن اليوم يا أمّاه ؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا ؟ ما عنواننا الذى نحمله فى الحياة ونعرف به ؟

إننا لم نعد بعد أسرة ، ولم يعد الناس حين يتحدثون عنا يقولون : هذه أسرة فلان ؛ بل أصبحوا يقولون : هذا فلان وهذا أخوه ، وهاتان أختاه !

اليوم فقط مات أبى ؛ واليوم فقط أصبحنا شتيتاً منثوراً ، وإنى لأضم اليوم إلى صدرى ابنتيكِ وابنتيكِ . أضمهم بشدة لأستوثق من الوحدة ، وأشعرهم بالرعاية . ولكن هيهات هيهات .

فأنا وهم بعدك أيتام يا أماه !

لقد شعرت اليوم فقط بثقل العبء ، وعلمت أننى لم أكن أنهض به وحدى ، وأننى كنت أرعاهم وأرعاكِ معهم ، لأننى قوىّ بك . أما اليوم فالعبء فادح ، والحمل ثقيل ، وأنا وحدى ضعيف هزيل !

إن الشوط لطويل ، وإنى لوحدى فى الطريق ، وأخى وحده كذلك ، وأختاى وحدهما أيضاً ، وإن كنا نقطعه جميعاً !

والعش الذى خلفتِه ستظل فراخه زُغباً مهما امتد بها الزمن ، لأن يدك الرفيقة لا تمسح ريشها وتباركه ، وكفك الناعمة لا تدرب أجنحتها على التحليق ، وروحك الحنون لا تكلؤها فى أجواز الفضاء

نحن اليوم غرباء يا أماه

لقد كنا — وأنت معنا — نستشعر فى القاهرة معنى الغربة فى بعض اللحظات ؛ وكنا نشبّه أنفسنا بالشجرة التى نقلت من تربتها ، والتى ينبغى لها أن تكثّر من فروعها ، لتتقى الأنداء فى غربتها

أما نحن اليوم فغرباء فى الحياة كلها . نحن الأفرع القليلة ذوى أصلها ، بعد اقترابها من تربتها ، وهيهات أن تنبت أغصان

فواجبنا يحتّم أن نعلمه أن الرمزية الميتافيزيقية (الفلسفية عند « ريبو » هى الرمزية الفنية التى يتكلم عنها الفيلسوف نفسه فى صفحتى ١٦٩ — ١٧٠ من كتابه l'Imagination Créatrice ، ولو أدرك زكى أنه لا وجود لغير نوعين من الرمزية ، لعرف أن الرمزية الميتافيزقية ، أو الفلسفية ، هى بعينها الفنية ، ولا استطاع أن يفهم «ريبو» ويترجه فى أمانة ؛ وإلا فهل وجد هو «ريبو» يذكر اصطلاح Le Symbolisme Artistique فى أى فصل من فصول كتابه ؟!

إن زكي فى حيرته ودورانه يدعى أنى (أخلط خلطاً صريحاً) بين الرمزية الفنية وبين ما يسميه (رمزية ما وراء الطبيعة) ؛ فهل يتفضل الزميل بأن يفسر لنا هذه الرمزية الثالثة التى يضيفها إلى النفس الإنسانية وكأنه يريد أن نتصور إنساناً بثلاث أرجل أو عيون مثلاً ؟ !

٧ — بقى أن نهمس فى أذن الصديق زكى أن تاريخ الرمزية الفنية ، هو تاريخ تطور العقل البشرى ، وأن هذه الرمزية إذا كانت قد بلغت بهذه الصور المركبة ، فهى قد بدأت بالأساطير فى أحضان الدين ، بل يرجع تاريخها إلى ابتداع الحروف الأبجدية كرموز تدل على أصوات ، وهى فى جميع مراحلها تقوم على أساس « سيكولوجى » واحد . والفرق بين هذه الرمزية وبين الرمزية الصوفية هو أن الأخيرة تعتمد على رموز شخصية ينتزعها الصوفى من نفسه انتزاعاً ليس فيه أى عنصر عقلى ، ولهذا السبب لا يفهمها أحد غيره ، بينما الرمزية الفنية تقوم على رموز تنتزع من الحياة العامة ، فتكون عند جميع العقول

ولقد أكتفى بهذا القدر لأن الأستاذين زكيا وبشرا يذهبان فى مناقشتى على غير أساس من العلم الوضعى ، مما أشاع الخلط والسفسطة فى كل سطر كتبه زكى ، ومما جعل المناقشة معهما سقيمة عقيمة ؛ فإلى أن يجدا ما يقولانه فى « الموضوع » سيجدانى فى كل لحظة مستعداً لتقديم كل ما يحتاجانه لدراسة الرمزية وفهمها ، على أن يساعدنى الدكتور بشر ألا يحاول التأليف ، فليس الفن قواعد وتطبيقات ، إنما الفن فيض من عند الله ، يؤتيه من يشاء

محمد متولى
ماجستير فى الفلسفة
ومفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

فى التربة الغريبة . . . بلا أم ! . . . .

***

أماه ...

لقد امتلأ حسى إرهاصاً بالكارثة قبيل وقوعها ، يوم لم يكن يبدو فى الأفق نذير بها . ولقد حدثت بهـذا الإحساس بعض الإخوان فعجبوا من أمرى ، وحسبوها وسوسة الشعراء . وقد ناديتها مراراً : « أقبلى أقبلى لطال انتظارى ! » . ولكننى لم أكن أتخيل الكارثة فجيعة فيك . لقد دعوتها لتقبل وأنا قوى بك ، فكم من كوارث صمدت لها وأنا معتصم بركنك الركين !

لقد تمنيت قبل الكارثة بليلتين اثنتين أقول : كم أنا فى حاجة لمن يربت على كتفى ويضمنى إلى أحضانه ! ولقد دعوتنى مرة — فى دعابة من دعاباتك الحلوة — أن آوى إلى حضنك كما كنت طفلاً . وكم كنت مشوقاً لتلبية دعوتك ، لولا الكبرياء ، الكبرياء التى أودعتها نفسى منذ الطفولة ، فجعلتنى أهرب من كل مظاهر الطفولة . ولو علمت ساعتها يا أماه أنك راحلة لنسيت كل تعاليمك لأرتمى لحظة واحدة فى حضنك الرفيق . . . كما كنت طفلاً !

***

أماه ...

من ذا الذى يقص على أقاصيص طفولتى كأنها حادث الأمس القريب ، ويصور لى أيامى الأولى فيعيد إليها الحياة ، ويبعثها كرة أخرى فى الوجود ؟

لقد كنت تصورينني لنفسى كأنما أنا نسيج فريد منذ ما كنت فى المهـد صبياً . وكنت تحدثيننى عن آمالك التى شهد مولدها مولدى ، فينسرب فى خاطرى أننى عظيم ، وأننى مطالب بتكاليف هـذه العظمة التى هى من نسج خيالك ووحى جنانك . فمنذا يوسوس إلى بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة ؟ ومنذا يوحى إلى بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة ؟

منذا الذى يصوغ لى الأحلام الذهبية فى الآمال ، ويبنى لى قصور المجد فى الخيال ، فتصبح الأحلام بعد لحظة ، ويتجسم الخيال بعد برهة ، لأنك تنفخين فيها من حرارة القلب ، وتوسوسين لها برُقى الإيمان ، وتسكبين عليها إكسير الوجدان

لمن أصعد درج الحياة بعدك يا أماه ؟ ومن ذا الذى يفرح بى ويفرح لى وأنا أصعد الدرج ، ويعتلى زهواً وإعجاباً وأنا فى طريقى إلى القمة ؟

قد يفرح لى الكثيرون ، وقد يحبنى الكثيرون ... ولكن فرحك أنت فريد ، لأنه فرح الزارع الماهر يرى ثمرة غرسه وجهده ؛ وحبك أنت عجيب ، لأنه حب مزدوج : حبك لى وحب نفسك فى نفسى ... !

أماه ...

عندى لك أنباء كثيرة ، كثيرة جداً ومتزاحمة ، تواكبت جميعها فى خاطرى على قصر العهـد بغيبتك . وإنه ليخيل إلىّ فى لحظات ذاهلة أننى أترقب عودتك لأسمعك هـذه الأنباء ، وأحدثك بما جدّ فى غيبتك من أحداث ؛ وأنك ستسرين ببعضها وتهتمين ببعضها ... وهى مدخرة لك فى نفسى يا أماه ، ولن تدب فيها الحياة إلا حين أقصها على سمعك ... ولكن هيهات ، فسيدركها الفناء الأبدى ، وستغدو إلى العدم المطلق ، لأنك لن تنصتى إليها مرة أخرى ... !

أماه ... أماه ... أماه ... ...

« حلوان »

ابنك المفجوع
سيد قطب

سيجموند فرويد
العالم النفساني الكبير
للأستاذ صديق شيبوب

— ٣ —

العقل الباطن سر من أسرار النفس المغلقة التي يصعب الوصول إليها وإماطة اللثام عنها ، وكان الأطباء يلجأون إلى التنويم المغناطيسي في أول الأمر لشفاء داء الهستيريا ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، ولكن « فرويد » أبى الأخذ بهذه الطريقة وقرر ثلاث وسائل يستطاع بها معرفة دخائل العقل الباطن . فإما بانتزاع السر عنوة وقوة كما كان يفعل رجال التحقيق في القرون الغابرة ، وإما بتقريب الأدلة وحل ألغاز العواطف المكبوتة وتحليل بعض الظواهر ، وإما بالانتظار والصبر حتى تطرأ على المريض حالة ضعف عرضية فيبوح بسره

عند ما ابتدأ فرويد اختباراته اكتشف ظاهرة لم ينتبه إليها أحد من قبله ، وهي ما أسماه (الأفعال الفائتة) . ذلك أن الإنسان كثيراً ما يخطئ التعبير فيقول كلمة وهو يريد ضدها ، أو يدلي بأمر وهو يقصد عكسه ، وكان العلماء الأقدمون ، كما كانت عامة الناس ، يعزون هذه الأخطاء للغفلة أو الالتباس أو قلة الانتباه . أما « فرويد » فقد رأى أن الغفلة أو الالتباس معناها أن أفكار الإنسان ليست حيث يريدها أن تكون . ففي (الفعل الفائت) فعل قام مقام آخر ، وهذا الأخير هو الذي كان المراد إتيانه . قد تدخل إذن فجأة بين الإنسان وعمله عنصر ثالث حال دون القيام به وفقاً لإرادته . فإذا عرفنا أن لكل حادث نفسي معنى مقصوداً كما أن لكل فعل فاعلاً ، وأن العقل الواعي ليس العامل الصحيح في (الفعل الفائت) لأن العقل الباطن طغى عليه فيه ، قدّرنا أن الفعل الفائت ليس نتيجة غفلة أو التباس ولكنه دليل على ظهور عاطفة مكبوتة ، والخطأ في الحديث يدل على صميم فكرنا بينما تصحيحه لا يدل إلا على ما يقصده إليه وعينا

وهكذا نستطيع أن نقرر أولاً : أن كل فعل فائت وكل عمل يظهر أنه نتيجة خطأ إنما يعبران عن إرادة خفية ، وثانياً : أنه يوجد في المنطقة الواعية مقاومة فعالة لمظاهر العقل الباطن

وقد اندفع « فرويد » في التحليل بعد تقرير هذه الظاهرة ليفسر ظواهر وأعراضاً أخرى كان يظن أنها ضرب من المحال حتى انتهى إلى أشدها إمعاناً في المحال وهي الأحلام

كان الأقدمون يعتقدون في إغانهم الخرافي أن الأحلام ضرب من وحي الآلهة ، فاستحدثوا في أوائل عهد الإنسانية علم تفسير الأحلام ، وشاع في هيا كل مصر وبلاد اليونان والرومان وفلسطين . ثم زال هذا الاعتقاد وصارت الأحلام أضغاثاً لا معنى لها ولا قصد ، وصار ينظر إليها كسديم ، أو كشيء لا قيمة له ، أو أنها ذبذبة متأخرة خرساء توقع على أوتار الجهاز العصبي ، أو أنها نتيجة عدم انتظام الحركة الدموية واندفاع الدم إلى الدماغ

ولكن « فرويد » رأى غير ذلك ، فنظر إلى الأحلام نظرة وضعية ، وقرر أنها الوسيط بين عواطفنا المكبوتة والعواطف الخاضعة للفكر ، وقال إن الحلم ليس كله محالاً ، ولكن لكل واحد معناه الخاص به من حيث هو فعل نفسي كامل

صحيح أن الأحلام لا تعبر باللسان الذي تعودنا النطق به في ساعات اليقظة ، لأن لغتها لغة أعماق الطبيعة غير الواعية ؛ لذلك لا نستطيع أن نفهم فهماً مباشراً معناها ورسالتها ، ويجب أن نتعلم وسائل تفسيرها ، ولغة الأحلام تعبر بوسائل الصور كما كانت تكتب اللغات القديمة

رمى « فرويد » من تفسير الأحلام إلى قصد جديد . كان الأقدمون يحاولون بواسطة هذا التفسير الكشف عن المستقبل ، أما فرويد فقد أراد الكشف عن الماضي النفسي وأسرار الإنسان العميقة ، لأن « الذات » في الحلم مثلنا شكلا في حالة اليقظة ، ولكنها تختلف عنا من حيث انعدام الزمان ، فهي في ساعات الحلم يستوي لديها الماضي والحاضر ، أي أنه يجتمع في الحلم الطفل والمراهق ورجل الأمس ورجل اليوم مما تتألف منه (الذات) الكاملة

كل حياة مزدوجة إذن ، ففي الأعماق غير الواعية تتألف المجموعة الصحيحة من الأمس الدابر إلى اليوم الحاضر ، ومن الرجل الأوّلي إلى الرجل المتحضر ، بينما تطفو على السطح الحياة المستنيرة والذات الواعية القائمة في الزمان

تلتقي هاتان الحياتان في حرية كاملة في عالم الأحلام الذي يعبر تماماً عن أدق عناصر حياتنا ، بحيث لا يستطاع معرفة مجموعة حياتنا الزمنية التي تتألف منها شخصيتنا ، ولا فهم مرامي إرادتنا ، إلا إذا تمعنا جيداً في مغزى أحلامنا

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ وضع (فرويد) طريقة لحل الأحلام المعقدة ، فابتدأ بالسهلة البسيطة منها ثم قارب بين الشكل الأول والشكل الأخير ؛ والأحلام كالزهرة التي لا تعرف حقيقتها إلا بعد درس أصولها المغروسة

ابتدأ (فرويد) بأحلام الطفل الصغير بدلاً من أن يبتدئ بأحلام المراهق ، لأن الطفل الصغير لا يعي بينما المراهق يعي ويكتب ؛ والطفل الصغير لا يكتنز خياله إلا أشياء قليلة ، ودائرة تفكيره ضيقة ، والتداعي ضئيل لديه ، مما يجعل أحلامه سهلة المنال بالتفسير . يرى الطفل الحلوى فيلح في طلبها ، فإذا رفض والده أو أبت والدته مشتراها ، رآها في الحلم كما هي لأنه لا يفهم الخير من الشر . إنه يظهر رغباته بلا خشية كما يكشف عن جسمه بلا حياء

والأمر عكس ذلك عند المراهق فما فوق ؛ فصور الأحلام الرمزية تخفي في أغلب الأحيان شهوات مكبوتة ورغبات لم تتحقق في النهار فتتخذ سبيلها إلى حياتنا عن طريق عالم الأحلام

هذا ما فهمته العامة من طريقة (فرويد) في تفسير الأحلام ولكنه في الحقيقة لم يقف عند هذا الاكتشاف السهل لأنه يعرف أن الإنسان خاضع للعقل الواعي حتى في أوقات النوم عند ما يستسلم لعالم الأحلام . ففي الأحلام توجد عواطف تحاول أن تظهر ولكنها لا تجرؤ على ذلك في حرية خوفاً من المراقبة فتتحول إلى رموز في شكل دقيق والتواء مقصود وتختلط بضروب من المحال كيلا يظهر معناها الحقيقي ، والحلم كالشاعر كاذب صادق ، لأنه يخفي الحادث النفسي وراء مظاهر رمزية . ومهمة العالم النفساني أن يحل هذه الرموز وأن يفرق بين الصحيح والكاذب منها وأن يبحث عن الحقيقة من وراء مظاهرها الكاذبة

يريد « فرويد » أن يكون البحث علمياً وأن يكون عمل الطبيب كعمل الناقد الأدبي في دراسة ديوان من الشعر . فكما يحاول الناقد الفصل بين خيال الشاعر وبين المعنى المقصود والبحث عن أسباب استعمال الاستعارات والتوريات والتشابيه والوصول إلى نفسية الشاعر الكامنة وراءه ، كذلك يجب أن يفعل الطبيب النفساني لأن عليه أن يبحث في الحلم الخيالي عن دوافع المريض الشعورية . ولما كانت غاية علم التحليل النفسي معرفة الشخصية فإن على العالم أن يستخدم مواهب الإنسان الخيالية ، وأن يدرس العناصر التي تألف منها الحلم ، وأن يمعن تفكيراً وتحليلاً حتى يصل إلى الحقيقة

وهناك نظرية أخرى عرض لها فرويد لتدعيم رأيه من المقرر أن النوم وسيلة طبيعية للراحة وتجديد القوى التي تستنفدها اليقظة . فيجب أن يكون النوم إذن سباتاً عميقاً في ظلام لا ينقطع . وإذا كان الأمر كذلك فلا معنى إذن للأحلام ، وهذا ما قرره الكثيرون من العلماء . ولكن « فرويد » رأى فيها وسيلة للتفريج عن العواطف والشهوات المكبوتة وتحريرها من حكم العقل وسيطرته عليها . وهكذا تقوم الأحلام مقام الأفعال التي أبينا إتيانها في اليقظة . وقد قال أفلاطون : « يكتفي الرجل الصالح بأن يحلم بما يفعله الرجل الشرير في اليقظة »

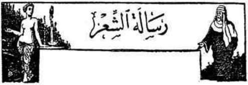
هذه هي النظريات الأساسية التي بنى عليها « فرويد » علم تفسير الأحلام . وقد أبينا شرح وسائل هذا العلم وطرق التفسير لأنها كثيرة متشعبة ، وهي في مجملها متروكة لفطنة الطبيب وذكائه على أن الحلم ليس الوسيلة الوحيدة لتعرف شخصية المريض وشهواته المكبوتة . فهناك طريقة أخرى يقول « فرويد » بأن العالم النفساني يستطيع أن يمارسها في كثير من الدقة والصبر ، وهي أن يفسح المجال للمريض ليتحدث بكل ما يمر بخاطره من غير إمعان فكر أو تحكيم عقل

يستلقي المريض على مقعد طويل بينما يجلس الطبيب إلى مكتبه بحيث لا يراه المريض الذي يجب أن ينسى حضوره . ثم يأخذ المريض بالكلام يلقيه على عواهنه فيدلي بكل بادرة تمر بذهنه ، بينما يصغي إليه الطبيب ويلاحظ ما يجد فيه دلالة على حالة مريضه

ولا شك أن هذه الطريقة صعبة وخطرة لأن المريض الذي تعود الكبت قد لا يبوح بكل خلجات ضميره ، ولأن العقل الواعي يسيطر أبداً على اللسان بالرغم من إرادة الإنسان ، ولأن المريض كثيراً ما يكون قد أعد قصته ليرويها للطبيب فلا يستطيع الانفكاك من أثرها

لذلك يجب أن يطول المجلس وأن يتكرر أكثر من مرة ، وأن يتذرع الطبيب بالصبر الطويل حتى ينفد صبر المريض فتجري على لسانه ألفاظ يستطيع الطبيب بواسطتها أن يتعرف إلى حقيقة الداء . والأمر بعد ذلك موكول إلى مهارة الطبيب وذكائه .

صبري شيبوب



أصـــداء الحب

للأستاذ أنور العطار

خاطِرى جَدْوَلٌ تَرَقْرَقَ أَلحا نًا وَقَلْبِى عُشٌّ يَمُوجُ غِنَاء
وَبِنَفْسِى قَصِيدَةٌ أنا مِنْهَا ثَمِلٌ ما تُفِيقُ رُوحِى انْتِشاء
كُلَّمَا رَنَّ هَمْسُهَا فى ضُلوعى صَفَّقَ الْقَلْبُ واسْتَحَالَ نِدَاء
ياحَبيبى أَرَاكَ فى نِغْمَةِ الذِّكْ رَى فأَصْبُو شَوْقًا وَأَهْفُو لِقَاء
عِشْ بِقَلْبِى لَحْنًا عَلَى الدَّهْرِ حُلْوًا
واسْرِ فى حُلْمِىَ الشَّجِىِّ صَفاء
أَتْرِعِ الروحَ بَهْجَةً وَانْتِلاقًا وَامْلأ النَّفْسَ فَرْحَةً وازْدِهاء
تَتَراءى فَيَعْبَقُ الْكَوْنُ بالعِطْ رِ وَيَخْتَالُ جَنَّـــةً غَنَّاء
وَظِلالاً يُنَغِّمُ الْحُبُّ فيها وَيَذُوبُ السَّنا بها أَنْداء
أَنْتَ لى عَالَمٌ يَمُوجُ مِنَ الزَّهْ وِ وَدُنْيَا تَأَلَّقَتْ أَفْيَاء
وَمُنًى تَسْكُبُ الرَّغادةَ فى الْقَلْ بِ وَتُحْيِى فى ناظِرَىَّ الرَّجاء
وَتُعِيدُ الْحَيَاةَ جَمْرَةَ شَوْقٍ وَهَجُهَا يَمْلأُ الوُجُودَ ضِيَاء
يا حَبيبى تَرِنُّ فى الْقَلْبِ أَصْدَا ءٌ وبالْقَلْبِ أَفْتَدِى الأَصْدَاء
وَدَّتِ الْعَيْنُ أَنَّهَا تَسْمَعُ الْهَمْ سَ وَتَحْيَا عَلَى المدى عَمْيَاء
تَحْسُدُ الأُذْنَ أَنْ يُهَدْهِدَهَا اللَّحْ
نُ وَتَفْنَى فى سِحْرِهِ إِصْغَـــاء
يا هَوَاىَ الْقَدِيمَ جَدَّدْتَ دَائى
فَتَفَجَّرْتُ مِنْ أَسَـــاىَ بُكَاء

أنور العطار

الشاطئ والحرب

عودة إلى الشاطئ !

للأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

عدتُ واللهفةُ تدعونى إليكْ عودةَ المخذولِ من ساحِ الحروبِ
أذكرُ الأمسَ وأيامى لديكْ علَّ فى الذكرى شِفاء لذُنوبى
زاحفُ الأحداثِ قد أخنى عليك وخطوبٌ جِنَّ فى إثرِ خطوب
كل سحر قد تولى وتوارى عن عيونى
لم يعدْ للقلبِ إلا ذكرياتى وحنيني
هذه الصخرةُ بالأمس جلسنا فوقها نرعى العهودَ الباسماتْ
وعلى أقدامِنا الموجُ يغنى باعثاً فى الشط عذب النغماتْ
هاهنا نامت عيونُ الدهر عنا بعض حين والأمانى راقصاتْ
ها هنا فى كل منحى معهدُ
ترقصُ الذكرى به أو تقعدُ
وأنا الذكرى التى لا تنفد
ياحبيبي كيف تصفو لي الليالى والذى كان تولى واندثرْ
أترى تهفو لأيامى الخوالى وعهودٍ هُنَّ فى عمرِ الزهَرْ
نتغنى بالمـــنى فوق الرمال ونسيم الود مجـــلو عَطِرْ
ها هو الموجُ عبوسٌ مزبدُ
ها هو الشاطئُ جسمٌ هامد
وأنا وحدى شقى واجد
كل سحر قد تولى وتوارى عن عيونى
لم يعد للقلب إلا ذكرياتى وحنينى
عدت واللهفةُ تدعونى إليك وبقلبى ما بقلبى من وجيبِ
ذاكراً عهداً قضيناه لديْك آهِ ما أحلاه من عهدِ حبيب
زاحفُ الأحداث قد أخنى عليك وخطوبٌ جِنَّ فى إثرِ خطوب

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن



عهد جديد:

يوم القيامة – مايسة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

١ – يوم القيامة

منذ أنشئت الفرقة القومية وهى تمد الناس بأنها ستقدم لهم فى يوم من الأيام أوبرا أو أوبريت ، ولكنها لم تبر بوعدها هذا إلا اليوم فقط ، ويقال إنها كانت مترددة إلى حد كبير فى البر بوعدها هذا ؛ ويقال إن عمر جيبى لاقى صعوبات جمة حتى استطاع أن يقنع ولاة الأمور فى الفرقة وفى وزارة المعارف بأن إخراج الأوبرا أو الأوبريت شىء لا خطر فيه ولا خوف منه ؛ ويقال إن هذه الصعوبات لم تزلل إلا بعد أن كتبت تقارير، وألفت لجان، وعرضت أبحاث ، وتبدت وجهات مختلفة للنظر ، وتضاربت وجهات النظر المختلفة هذه تضارباً حكومياً ممتازاً ... ثم انتهى الأمر أخيراً بأن قال ولاة الأمور: لا بأس فى أن نجرب هذا النوع لعله يفتح للفرقة فتحاً جديداً ، ولعله يقربها من الجمهور تقريباً ...

ولقد كان ... وأذن الله سبحانه وتعالى لنا بأن نسمع من الفرقة القومية ألحاناً ...

القصة :

قال الوالى للأهالى : إن يوم القيامة سيقوم يوم الجمعة المقبل فحزن الذين لهم بسمت الدنيا ، وفرح الذين كشرت لهم الدنيا عن أنيابها، وتصدق كثيرون بأموالهم، وفزع كثيرون على أرواحهم وارتبكت سوق التجارة ، وانخفضت أسعار الحاجات ، وزهد الناس فى الدنيا ، واستغلها الوالى فرصة لجمع الأموال واكتنز الذهب . ثم جاء يوم الجمعة الموعود فلم تقم القيامة ولم ينفخ فى الصور ولم تزلزل الأرض زلزالها ، ولم تخرج أثقالها ، ولم يقل الإنسان مالها بل قال الناس : ما للاشاعة المزعجة لم تتحقق ؟ وقال الأغنياء : ما لنا وزعنا أموالنا ؟ وقال الفقراء . يا خيبتنا فى رجائنا ، ويامرارة عودتنا إلى بؤسنا وشقائنا . . . ثم هاج الناس ، وكان فى البلد شيخ مجذوب فضح الوالى وقاد الثورة عليه

هذه هى الناحية التاريخية من القصة ، وقد دس المؤلف فيها قصة أخرى غرامية ليحليها بها ويزخرفها ، فابتدع عاشقاً ومعشوقة وزواجاً وزفافاً يشبع به شغف الذين لا يطيقون أن يظلوا الساعات يشاهدون قصة ولا يرون فيها امرأة ...

ولست أريد أن أعرض للرواية من الناحية التاريخية فأبحث وراءها لأخرج من البحث بحكم عن صدقها أو كذبها ، فهذا أمر أدعه للمؤرخين والباحثين والقارئين والمطلعين ، وفى الصف الأول منهم أستاذى الدكتور زكى مبارك الذى قال لى إن فى القصة غلطة تاريخية ، وإنه سيدحضها

فليدحضها أولا يدحضها ، فأنا لا يعنينى من القصة شىء أكثر من اللذة الفنية التى أستمتع بها حين مشاهدتها ، ولست أنكر أنى ذقت لذة فنية سائغة فى يوم القيامة ، فموضوعها كما رأيت طريف ، وحوادثها كما رأيت شاذة ، وتأليفها لبق ولذيذ . وهذا كله من نعم الله التى لا أحب أن أتلفها على نفسى بمراجعة التاريخ وأساتيذه

الإخراج !

قلت فى الأسبوع الماضى إن عمر جيبى أجهد نفسه ، وأجهد الممثلين معه إجهاداً مضنياً فى إخراج هذه القصة ، وأقول اليوم إن هذا الإجهاد قد أثمر ثمرته

وإنى أعتقد أن الأوبريت الثانية ستكون أبهى من هذه بإذن الله ، وأن الثالثة ستكون أبهى من الثانية ، وإن أملى فى عمر أمل كبير ، وقد يكفيه فخراً أنه كان يسأل كل من يتصل به عما يستطيع أن يبديه له من الملحوظات وعما يمكن أن يدلى به إليه من الاقتراحات ، مع أنه يعلم أن هذا السؤال قد يؤول تأويلاً سيئاً ، ولكنه أعرض عن هذه الأوهام لأنه

أراد أن ينجح ، وقد نجح ، وما دام متلهفاً إلى النجاح هكذا فسينجح أكثر مما نجح وأكثر .

التمثيل

لم يشترك فى تمثيل هذه القصة من فحول الفرقة القومية إلا اثنان أو ثلاثة ومع هـذا فقد سرت فى الرواية من أولها إلى آخرها حيوية ملحوظة كان سببها أن الممثلين والممثلات الناشئين الذين أسند المخرج أدوار الرواية إليهم طاوعوه بقدر ما استطاعوا المطاوعة ، وقد نتج عن هذه المطاوعة أن توحدت روح التمثيل بين الممثلين ، فلم يكن فيهم من أراد أن يبرز على غيره ، ولا من أراد أن يشذ

صحيح أن بعض الحركات والإشارات والجمل كانت تلتى بأسلوب « أفرنجى » . وهذا عيب . ولـكنه ليس عيباً قاصراً على هذه الرواية وتمثيلها ، فأغلب الممثلين المصريين لا يزالون يتتلمذون على الممثلين الغربيين ، ولا يزالون قريبين من أساتذتهم بعيدين عن أنفسهم هم . وهذه حال ستنقضى يوم يكون لنا مسرح قومى يكتب له كتاب مصريون ، حوادث مصرية ، يعرفها الممثلون المصريون ، ويعرفون ذويها ويستخلصون منها ومنهم فنهم عن طريق مباشر ، لا بعد أن يصدر هنا الفن عنا إلى أوربا حيث يصنع صناعة غريبة ثم يعود إلينا وهو منا حقاً ولكن بعد أن لعبت اليد الأجنبية فيه ... كما يحدث لقطتنا ...

الأزجال

كتبها بيرم التونسى ، وبيرم التونسى هو بيرم التونسى .

يقول فى يوم القيامة :

لا الطفـــل يقول يا باه ولا أم تقـــول ولداه
وملايـكة تقول : الله حاكم قهار يا ويل . . .
يا ويل النـــاس يا ويل
دا ميزان منصوب قسطاس ورصاص مصبوب ونحاس
فوق روس الناس ... الخ

الألحان

أربعة عشر لحناً صاغها كلها زكريا أحمد ، منها ألحان للمجموعة ومنها ألحان للأفراد ، وألحان المجموعة أرسلها زكريا إرسالاً سهلاً فى روعة واتساق امتاز بهما على غيره من الملحنين . وأما ألحان الأفراد فقد أودعها زكريا التطريب الشرقى الذى تتذوقه آذاننا وأرواحنا ، والذى لا يتعثر فى دخوله إلى أنفسنا . وقد كنت أحب أن أفيق ولو للحن واحد من هذه الألحان حتى أسفه لقرائى ، ولكنى مع كثرة ما سمعت هذه الألحان من زكريا ومن الفرقة لم أملك نفسى إلا أن أنساق لها مذهولاً مأخوذاً ، فاست أملك اليوم أن أقول لقرائى شيئاً أكثر من أن أحيلهم على هذه الألحان ليسمعوها وليسكروا بها كما سكرت

على أنى سأتربص منذ اليوم لزكريا وألحانه فى دنانير ، فقد كرهت أن أظل تحت تأثير سحره ، وقد عزمت على أن أتحفز له ...

الغناء

مع أن نجمة إبراهيم ليست من المطربات المعدودات فإنها مغنية بالطبع . يخيل إلىّ أنها حين تخلو إلى نفسها تغنى ، وأنها تبث فى غنائها لواعجها وهمومها . وهـذا هو ما مكنها من أن تمر فى يوم القيامة مغنية تلفت السمع وتلفت الشعور

وحسن سلامة مع أنه موسيقى أعده ممن يلهمون فى اتجاه خاص هو تصوير نفوس النساء ، فإنه استطاع أن يغنى كثيراً من عواطف الرجال ، وإنى أترك حسن سلامة اليوم عنـد هذا فهو جدير بأن أقدمه إلى الناس على حقيقته فى ظرف آخر على اعتبار أنه موسيقى لا مغن

فرقة الألحان

يتقاضى الفرد فى فرقة الألحان من الفرقة القومية عشرة قروش فى الليلة ، وهو يؤدى بصوته وروحه غناء يساوى القروش العشرة ... فلو أنه أعطى خمسين قرشاً فى الليلة أو جنيهاً فإنه من غير شك يكون شيئاً آخر ...

وماذا أيضاً :

لا أظنه بقى بعد ذلك فى يوم القيامة شىء ، ولـكنه لا تزال بعد يوم القيامة أشياء ، هى روايات الألحان التى ننتظرها والتى لا يمكن أن نشبع منها ولا أن نمل

٢ — مايسة

قصة تصور حياة البدو المصريين الذين يعيشون على حدود مصر ، وما يشعرون به من أنهم حماة السبل المؤدية إليها ، كتبها بيرم التونسي زجلاً ، ولحنتها ملك ، فهي ألحان من النغم في ألحان من الكلام

وقد كنت، إلى أن سمعت ألحان ملك في مايسة، أحسبها مغنية كل ما تستطيعه هو أن تتلقى اللحن من غيرها وأن تؤديه بعد ذلك أداء فيه إتقان يتاح لها من قدرتها على أن تسلس راغبة لمن تريد أن تسلس له

ولكني بعد أن سمعت ألحان مايسة رأيتني أخاف من ملك ، وكأني بها قد نفذت إلى عالم آخر غير هذا العالم استرقت منه هذه الألحان ، وإلا فمن أين أتتها هذه الشرارة التي اندلعت في روحها فتوهجت فيها هذه الأنغام اللامعة المصقولة

لقد حرت ... وسألت ... فقيل لي إن ملك استعانت بإثنين موسيقيين أخفت اسميهما ، ولكني قلت إن هذه الألحان مطبوعة كلها بطابع واحد ، فلا بد أن يكون صاحبها واحداً ولا أكثر . ثم إنها ألحان ظاهر جداً أنها حريق امرأة اندلعت في نفسها النار اللطيفة ذات السعير اللذيذ ...

لست أدري . ولكن هذا هو رأيي ... وأنا أعلم أن فيه مفاجأة ، ولكنه شعوري . ولعل هذه هي المرة الأولى التي يستولى على فيها الخبل من فن امرأة ...

إن ملك تتكلف في الغناء أحياناً ، وهي تثقل فيه على النفس أحياناً ... ولها في هذه الأحيان العذر ، فما يستطيع الإنسان أن يستنبع روحه في كل حين ... ولكنها كانت في هذه الألحان نبعاً يتدفق ...

فهل هذه ألحانها حقاً ، وهل ننتظر بعد ذلك منها ألحاناً تشبه هذه ...

إذا كان الأمر كذلك فعلى الملحنين أن يأخذوا حذرهم ... وعلى بعضهم أن يتعلم وأن يتذوق.

عزيز أحمد فهمي



لا تناقض ولا اضطراب

لم أكتب عن المنصورة مقالاً واحداً، وإنما كتبت مقالين أحدهما قُبَيْل السفر وثانيهما بُعَيْد الرجوع، وبين المقالين فاصل هو الإمضاء. وقد نبهتُ مدير مطبعة الرسالة مرتين إلى ذلك الإمضاء، فقد كنت والله أشعر بأنه لن يُثبته فى صُلب الحديث، وقد وقع ما توقعتُ وصحّ للسيد محمود وصيف أن يحكم بأن المقال وقع فيه تناقض واضطراب

ولعل هذه الملاحظة تذكّر مدير مطبعة الرسالة بأن ليس من حقه أن يتصرف بالحذف والإيصال فى مقالات الكتّاب، فقد يكون من الذين يخفى عليهم وجه الصواب فى بعض الأحايين، وإلى صاحب الملاحظة أقدم تحيتى وثنائى.

زكى مبارك

غناغراف

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة «الرسالة» الغراء

تعلمون كما يعلم قراء الرسالة أن لدى إدارة البرق (التلغراف) نوعاً من الرسائل أعد للتهنئة وهو يمتاز عن الرسائل البرقية العادية برسوم زخرفية ذات شكل بهيج

ومع أن هـذه الميزة لا تكاد تؤدى مرح المهنىء المخلص وفرحه واغتباطه فقصارى ما أتمناه لكم ولقرائكم أن تتلقوا رسائل من هذا النوع بما يقر أعينكم ويطمئن قلوبكم

ولـكن الذى أرجو أن أعرف وقعه لديكم وأثره فيكم هو نوع رسائل التهنئة الذى ابتكرته الولايات المتحدة، تلك الأمة الخالية القلب من متاعب العالم القديم

فى عدد اليوم من جريدة الاجبشيان غازيت مقال ممتع بقلم المستر جرنى وليمز عن ذلك النوع من الرسائل واسمه «الغناغراف» فماذا ترون لو ازدحمت غرفتكم بالرسالة أو بالمنزل العامر بفرقة من سعاة التلغراف تنشدكم برقية تهنئة من شعر رامى وتلحين السنباطى أو من شِعْر الدكتور زكى مبارك وتلحينى أنا؟!

يقول كاتب ذلك المقال إن مكاتب البرق فى الولايات المتحدة أعدت نماذج مختارة من التهنئات المختلفة الأغراض وهى شائعة الألحان، ولـكن للمهنىء أن يبعث بغيرها، ولدى السعاة مقدرة على الأداء، ولدى إدارة البرق مقدرة على التلحين

وفى هذا الخبر على قصره بشريات لنا لو أخذنا بهذا النظام فمن لنا بالفرصة التى تتيح حفظ مكتبة فى كل مكتب للبرق تحتوى على كل دواوين الشعر العربى، ومن لنا بفرصة لتوظيف الملحنين وبعض المغنين والمغنيات سعاة للتلغراف!! ولقد ينشأ بعد ذلك شعراء عموميون كالـكتبة العموميين لنظم التهنئات البرقية، فما أسعد البشرى!

ويصف الـكاتب استغلال الماجنين لنظام التهنئة المغنية فهم يبعثون لحفلة متزمتة بفرقة من السعاة تنشدهم ما لا يتفق ونظام الحفلة، قال وعند ذلك يطرد الساعى المنشد المسكين قبل أن يتمم إنشاد البرقية وقبل أن يعلن اسم المرسل

قال: وفى هـذا النوع من الرسائل تكثر مداعبات الغزل بين الشبان والشواب، وروى قصة فتاة أرسلت أغنية كبعض شعر العباس بن الأحنف إلى صديق لها، فطرب الشاب وجعل الرد برقية إلى مكتب البرق فى حى الفتاة يرجو فيها تقـديم طعام الإفطار لها فقدمه المـكتب على حساب المرسل للظريفة الداعبة فى غرفة نومها فى ساعة الفجر

سيدى الأستاذ:

لا علينا من طبيعة نظام الغناغراف ولـكن أمة يمكن فيها إنشاؤه واستمراره لهى أمة سعيدة فهل تدعون إلى إنشائه بمصر إدارة المصلحة التى أنشأت قطار المفاجآت وقطار البحر

أحسب ذلك إن شاء الله.

عبد اللطيف النشار

أدهم قال لى

قرأت للأستاذ عبد اللطيف النشار كلمة بمناسبة دعوة أحد الأدباء لأصدقاء المرحوم الدكتور أدهم فى أن يكتبوا عن مقدار ما وصل إليهم من العلم عن عقيدته

وفى الواقع كانت دهشتى عظيمة لأمرين : الأول هى تلك الدعوة الغريبة التى لا أجد لها أى داع ، وقد حرت فى فهم ما يرى إليه الداعى من وراء دعوته ، فإن كان يقصد بالعقيدة « الدين » فإننى أعتقد أنها مسألة شخصية بحتة يجدر بنا أن نبعدها عن نطاق الجدل ؛ ثم إننى لا أفهم كيف يمكننا أن نخدم الأدب بتركنا الكلام عن الناحية الأدبية فى الكاتب إلى مسائل خاصة ، ويجب أن تظل كذلك

وإننى أتساءل : متى يمكن لأفكارنا أن تسمو عن الاهتمام بمثل هذه الفوارق التى يجب أن تتلاشى ما دامت رسالة الأديب نبيلة فى مرماها مجدة فى الرفع من شأن الأدب ؟

والأمر الثانى الذى دهشت له هو رد الأستاذ النشار نفسه وتلبيته دعوة كهذه ، ولم أخرج إلا بنتيجة واحدة من كلمته ، وهى أنه قد انتهز فرصة الكلام عن أدهم ليرميه بجر التهم والتعريض ؛ وإننى أرجو أن تكون نية الأستاذ النشار — وقد كان صديقاً لأدهم — بريئة مما استطعت استنتاجه من كلمته

ليتكلم عن أدهم وأدبه كما يشاء، ليناقش آراءه الأدبية والعلمية إذا أراد ، فهذه رسالة الناقد ؛ أما أن يدخل فى أمور شائكة كهذه ، فهذا ما لا يقره عليه أحد ، وخاصة أنها تتعلق بشخص انتقل إلى جوار ربه ، فللموت حرمة يجب علينا تقديسها

شعبان فهمى

إلى الأستاذ النشار

فى عنقك الآن قلادتان : أولاهما للأستاذ اسماعيل أدهم — رحمه الله — وأخراهما للأدب الحديث

أما قلادة أدهم فأرى أن توَشّحك بها (قال لك) قد يحيك له وشياً من الخلود لا يخلق ولا يبلى . أما قلادة الأدب فأعتقد أن أدب الأستاذ — وإن كان جافاً لا يخلب كما قال الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مقاله — إلا أنه جديد فى أفق الآداب ، ورأيه غريب فى سماء الآراء

وعالم الأدب الآن محتاج إلى كل جديد ، ودنيا الآراء عطشى إلى كل غريب

فإن صح ما تقول فهنيئاً لبحر أدهم بغواص يتصيد الدرر الخبيئة، ولعالم الأدب بمرآة تشع نفساً غامضة تاهت (حتى حقائق نسبها) عمن تعرضوا لموضوعه الشائك فراح أخوه يخطئهم (الرسالة من عدد ٣٦٩ إلى ٣٧٣)

على أنى لا أرى عليك حرجاً من (انفاذ الوعيد) بل إن انفاذه لزام عليك (إن صح إن هذا وعيد) لاسيما وقد اختارك لذلك واختار لك أقوى الوسائل المغرية للكتابة عنه فى فلسفة عملية تكشف عن نية مبيتة للانتحار .

أيها الأستاذ : أن فى عنقك للعلم ثقة ، فدع عنك مبضع الجراح ، وانقل مزهرك فى خيال رقيق ، وانفذ إلى الحقائق فى تمحيص وتدقيق ، سدد الله خطاك

حلمى ابراهيم النبوى

إلى طلاب النحو فى جميع الأقطار

ما كان أظرف الأستاذ مصطفى ابراهيم حينما وجه (إلى علماء النحو فى جميع الأقطار) معضلاته الآتية :

١ — لِمَ أفرد لفظ مائة فى ثلثمائة إلى تسعمائة على خلاف القاعدة ؟

٢ — لِمَ حذفت التاء فى قوله تعالى : « فله عشر أمثالها » على خلاف القاعدة أيضاً ؟

٣ — كيف قلتم إن لن لتأبيد النفى ، وقوله تعالى : « فلن أكلم اليوم إنسياً » ، « ولن يتمنوه أبداً » ينافى ذلك ؟

وقد هممنا أن نفزع إلى أستاذنا العلامة صاحب النحو والنحاة ، ولكنا وجدنا الأمر أيسر من ذلك

١ — إنما يكون مميز الثلاثة إلى العشرة جمع قلة ما لم يكن لفظ مائة أو اسم جمع نحو تسعة رهط وخمس ذود ؛ لأن مائة — وهى مفردة فى اللفظ — جمع فى المعنى ، لأنها عشر عشرات وهو عدد قليل اهـ توضيح وأشمونى . وأقول ربما لوحظ فى إفراد لفظ المائة خفة النطق ؛ والتعداد بالمئات كثير بخلاف الآلاف ، ولذلك وصل الإملائيون المضاف بالمضاف إليه فيها لكثرة الاستعمال وفرقاً بين الجمع والكسر فى مثل رُبُع مائة وثُمُن مائة الخ . ثم إن إضافتها إلى الآلاف جمعاً قد جاء على أصل القاعدة ، وعندهم (ما جاء على أصله لا يسأل عنه) وظاهر أن اسم الجمع فى حكم جمع القلة . هذا وشذ قول الفرزدق فى الضرورة :

ثلاث مشين للملوك وَفَى بها
ردائى وجلت عن وجوه الأهاتم

٢ — يُعتبر فى واحد المعدود ـ تأنيثاً وتذكيراً ـ لفظُه إن كان اسماً ؛ وموصوفه المنوىُّ إن كان صفة ؛ فتقول ثلاثة أشخُص قاصدَ نسوة وثلاث أعين قاصدَ رجال ؛ وتقول ثلاثة رَبْعات إن قدرت الموصوف رجالاً ، وتحذف التاء إن قدرت الموصوف نساء ؛ لأن الربعة يوصف بها المذكر والمؤنث . وعلى هذا قوله عز وجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، تقديره فله عشر حسنات أمثالها . ويمكن تخريجها على تأنيث المعدود مراعاة للجمع ، ولكن الصحيح مراعاة واحد المعدود خلافاً للبغداديين . وقد يقال إن المعدود اكتسب التأنيث بإضافته إلى المؤنث . اه أشمونى وتوضيح . واختر ما يحلو

٣ — النحاة جميعاً على أن « لن » لمجرد النفى . والتأكيد أو التأبيد يستفادان من القرائن ؛ ولم يخالفهم فيما نعلم إلا الزمخشرى . وكيف نجعل الرجوع راجحاً ثم نستشكل بناء عليه ؟

على أن من ينصر مذهب الزمخشرى فى إفادتها التأكيد أو التأبيد ، فله أن يجيب عنه بأنها إنما تكون للتأبيد عند الإطلاق . فإذا ذكرت قرينة تمنع منه مثل « اليوم » فى الآية الكريمة فهى للتأكيد فحسب . وبأن التكرار فى مثل : « ولن يتمنوه أبداً » يقع فى بليغ الكلام لزيادة التأكيد

وإذا لم ترتض مذهبه فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب

طه محمد الساكت
مدرس بمعهد القاهرة

شرح بيت ونسبة آخر

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة الغراء المحترم

١ — مررت وأنا أقرأ ديوان « أبى نواس » جمع الأستاذ محمود كامل فريد بقصيدة نسبها الأستاذ للنواسى مطلعها :

لدوا للموت وابنوا للخراب   فكلكم يصير إلى تراب

على أنى قرأت هذه القصيدة بكتاب آخر منسوبة إلى أبى العتاهية . فهل لى أن أسأل سيدى الأستاذ أى القولين أصوب ؟

٢ — وفى صفحة (٢٤٧) من الديوان نفسه قرأت البيت التالى :

وتبسم عن أغر كأن فيه   مجاج سلافة من بيت راس

يقول الشارح فى الحاشية : إن « بيت رأس » اسم لقريتين فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليها الخمر ، إحداهما بيت المقدس والأخرى من نواحى حلب . وأقول إن بيت رأس اسم لقرية صغيرة تقع قريبة من الحدود الأردنية السورية من جهة الشمال ، وهى كما وصف الأستاذ غنية بكرومها ، فلا يبعد أنها كانت مشهورة بخمورها ، وأنها هى التى عناها الشاعر ...

أرجو إفادتى فى أيهما وجه الصواب خدمة للحقيقة وتعميماً للفائدة

(عمان)   مصطفى على عزام

(الرسالة) : القصيدة لأبى العتاهية لا لأبى نواس . وقولك فى بيت رأس هو الصحيح

من لصوص المجلات

نشرت « الرسالة » فى العدد (٣٧٩) فصلاً طريفاً عنوانه « قداسة النقد » بتوقيع « اسكندر البطرسى » ، الذى زعم لنفسه فضل ترجمته عن « برنارد شو » وأحب أن أبين أن هذا المقال منقول بنصه من العربية إلى العربية عن عدد شهر نوفمبر سنة ١٩٣٤ من « المجلة الجديدة » التى نشرته فى صحيفة ٨٩ و٩٠ مترجماً بقلم صاحبها الأستاذ سلامة موسى ، وقد أردت بهذا البيان أن أضع الأمور فى نصابها وأفضح هذا الدعى وأمثاله ممن يسرقون آثار الناس ليوهموا أنهم من الناس

أسعد حسنى

حول مقال

أستاذى الكبير صاحب الرسالة

تابعت باهتمام ما دار على صفحات الرسالة حول مسرحية مفرق الطريق للدكتور بشر فارس ، حتى قرأت فى العدد ٣٧٩ مقالاً للأستاذ زكى طليمات يرد به على مقال سابق للأستاذ محمد متولى وقد عنّت لى عند قراءة هذا المقال الملاحظات الآتية :

أولاً : يقول الأستاذ زكى طليمات إنه لا حرج على الدكتور

بشر فى تسميته بطلة مسرحيته (سميرة) وتحديد المكان الذى وقعت فيه حوادث المسرحية وهو مصر . ولو علم الأستاذ أن القصة الرمزية يجب أن تكون رمزاً لما يحدث فى كل زمان وفى كل مكان بين أشخاص غير معينين ، لعرف أن هذه التسمية وذلك التحديد يتنافيان مع أبسط شروط القصة الرمزية . لذلك يجب أن يحيط الغموض والإبهام أبطال القصة الرمزية وحوادثها .

ثانياً : يذكر الأستاذ أنه « من المعقول أن يكون البطل (هو) لأنه عنوان لفئة خاصة من الرجال فى مصر وأن تكون (سميرة) ـ سميرة ـ لا (هى) لأنها ليست عنواناً لفئة خاصة .

ونحن لا نفهم كيف تكون القصة رمزية إذا كانت بطلتها امرأة شاذة لا يوجد على طرازها ، ففى هذه الحالة تفقد القصة صفة الرمزية ، لنفس السبب الذى أوضحناه فى الفقرة الأولى .

ثالثاً : يعتقد الأستاذ زكى طليمات — كما ذكر فى الفقرة الأخيرة من مقاله — أن الأستاذ متولى يقف علمه بالرمزية وعلم النفس عند ما كتبه العلماء فى القرن الماضى . لماذا ؟ لأن الأستاذ متولى أراد أن ينقد المسرحية فأتى بشاهد من فلسفة (ريبو) فالأستاذ زكى طليمات إذن قد أخطأ الفهم لأنه لو طُلِبَ من شاعر أن يأتى ببيت فى غرض من أغراض الشعر كالهجاء مثلاً فأتى ببيت من الشعر الجاهلى ، فليس ذلك دليلاً على أن الشاعر لا يحفظ من الشعر سوى الشعر الجاهلى

هذا ما أردت أن أنبه إليه الأستاذ زكى طليمات . والسلام

فؤاد كامل

أحوال النساء

كتب الأستاذ ابراهيم محمد نجا فى « أجوبة عن أسئلة » أبيات علقمة الفحل عن « أحوال النساء » على هذه الصورة : عدد ٣٧٩ من « الرسالة » :

فإن تسألونى بالنساء فإننى خبير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهن نصيب

وأنا لا أريد أن أدخل بين الدكتور زكى مبارك والأستاذ نجا فيما يجرى بينهما من سجال وصيال ، ولكنى أذكر أن الرواية الصحيحة لشعر علقمة هى :

فإن تسألونى بالنساء فإننى خبير بأحوال النساء طبيب
إذا قل جاه المرء أو قل ماله فليس له من حظهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

وأظن صديقنا الدكتور زكى مبارك يطابق حفظه حفظنا فى هذا الشعر

محمود الشرقاوى

تصويب

ورد فى المقال الافتتاحى لرسالة هذا الأسبوع « خواطر مهاجر » نص الآية القرآنية الكريمة هكذا : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ... » والصواب حذف (لكن)

ولكم فى النهاية واجب التحية والإكبار .

السيد محمد أحمد الفقى

تصويب

فى قصيدة (الخلوة الأولى) « عدد ٣٨٠ » من الرسالة نشر هذا البيت :

أين الوفى منك وميثاقه وأين منه اليوم هذا الجود

وصحته : هذا الجحود

جريدة فتى النيل

دخلت زميلتنا « فتى النيل » فى عامها الثالث وعهدها الجديد حافلة بكل ما يهم القراء الاطلاع عليه . وقد اشترك فى تحريرها نخبة من حملة الأقلام الممتازين . وفى مقدمتهم الأستاذ عبد الحميد الشهدى . وجعلت موعد صدورها صباح الإثنين من كل أسبوع فنتمنى للزميلة كل تقدم ونجاح .



لقـــاء!...

للأستاذ محمد سعيد العريان

كان النَّديُّ مزدحماً بالساهرين على عادته كل مساء؛ قد تحلّقوا حول الموائد جماعات جماعات، في البهو، وفي الشرفات، وعلى الطُّوار؛ وكان الميدان الفسيح الذي يشرف عليه النديّ، مَرادَ العيون ومُستراح النظر؛ فما تقع العين منه إلا على منظر أنيق ومَرأى فاتن، والسيارات تتهادى ذاهبة آيبة تحمل كل منها قِصةَ حُب أو نُسِرّ حديثَ هوى، وأسراب الملاح تتواكب في مطارف الفتنة وعطر الشباب غادية إلى ميعاد أو رائحة إلى أمل، ونسيم المساء الهادئ ينفح عطره ويهمس في كل أذن حديثه ...

... وكان ثمة بضعة نفر جُلوساً إلى مائدة مستديرة في ظلٍّ وارفةٍ لَقَاء يتجاذبون الحديث ويتبادلون الفكاهات في أنس ومسرة. أولئك «رفيق» وأصحابه

بضعة نفر لا يشغلهم من هم الحياة ما يشغل الناس، جمعهم الشباب على هوى مشترك، وألّفتْ بينهم الحياة على رأي جميع، واجتمع لهم من أسباب النعمة ما أغنى بعضهم عن بعض فقرّب بعضهم إلى بعض؛ فهم قدمٌ واحدة بكل سبيل، وقلبٌ واحد في كل هوى، ورأيٌ واحد في كل مغامرة من مغامرات الشباب. ذلك مجلسهم كلَّ مساء حيث يلتقون فيقص بعضهم على بعض من حديث الهوى والشباب؛ فلكل فتاة من فتيات المدينة بينهم حديث؛ ولكل منهم من حديثها خبر، ولكل غادية ورائحة لحظةُ عين وبنتُ شفة

على أن رفيقاً وأصحابه لم يجتمعوا الليلة لمثل ما يجتمعون كل مساء؛ فإن لهم اليومَ لشأناً يشغلهم عن لحظات العيون وبنات الشفاه وأقاصيص الهوى والشباب؛ فقد غدَا عليهم «رفيق» يُؤذنهم بخبر لم يكن لهم في حساب؛ لقد اعتزم رفيق أن يتزوج ...

وا أسفا! لم يكن يحسب هؤلاء الأصحاب أن يصير اجتماعهم بعد تلك السنين إلى شتات، وأن يكون رفيق أسبقَهم إلى الفراق! ... أتراه يكون لهم بعد الزواج ما كان لهم قبله؟ من يدري؟ بل إنهم ليكادون يدرون؛ فما يتأتى له أن يلقاهم بعدُ ويلقونه، وإنه لزوجٌ وربُّ دار ...

وتناولوه بألسنتهم وركبوه بالمزاح والدعابة، وهو يستمع إليهم مبتسماً في صمت، ثم مضى ومضوا ...

***

لقد ذاق رفيق من ألوان اللذات ما ذاق، وباع في الحب واشترى، وربح وخسر، وتقلّبتْ على عينيه مناظر لعل مثلها لم يجتمع لشاب آخر في مثل سنه؛ على أنه قد ملَّ ذلك جميعاً وضاقت به نفسه، وحنَّ إلى حياة هادئة يحياها بين زوج تحنو عليه، وولد يجدّد أمله؛ فاعتزم أن يتزوج

وأتاح لرفيق ما لقي من تجارب الحياة، أن يعرف من شئون المرأة أكثر مما يعرف الشباب؛ فلم يكن تعجبه فتاة ممن رأى وعرف فيرضاها زوجة يملّكها داره ويأتمنها على سعادته؛ إذ كان يعرف أكثر من غيره ما وراء هذه القشور التي يتزيّن بها النساء في مجالس الرجال تجمُّلاً من غير جمال؛ فراح إلى أمه العجوز يسألها أن تختار له ويصف لها ما يحب في المرأة وما يكره.

وكان عجيباً من فتى مثل رفيق - رأى مَن رأى وعرف مَن عرف - أن يتوسّل بأمه إلى اختيار زوجته؛ ولكن ما رأى وما عرف هو الذي دعاه إلى ذلك؛ فقد كان مما جرّب لا يثق بواحدةٍ ممن عرف؛ فراح يتوسل بأمه أن تكون سبيلَه إلى من لم يعرف

تلك مسألة أخفاها رفيق على صحابته، ولو عرفوها لنسبوه إلى فساد الرأي وأَفَن التفكير؛ فما ينبغي لفتًى مثله من أبناء الجيل الجديد أن يخطب فتاةً إلى نفسها من وراء حجاب، وأن ينظر إلى زوجته بعيني أمِّه؛ ولكنه كان موقناً يقيناً لا شبهة فيه،

أن تلك الوسيلة التي ينسبها أصحابه إلى الرجعية وفساد الرأي وأَفَن التفكير ، هي أسدُّ وأحكم من اختيار فتاة كبعض من يعرف، تقلبتْ على أعين الشبان وتنقلت بينهم من ذراع إلى ذراع كجارية النخّاس !

لو أن أحداً رأى له هذا الرأيَ منذ سنين ، لسخر منه واستهزأ به ورماه بما يرميه به صحابته اليوم ؛ ولكن تجارب الحياة لا تدع لذى رأي أن يثبت على رأيه إلا أن يكون أحمق ليس له رأي ولا إرادة!

* * *

وراحت أمه العجوز في حاشية من صواحبها تطرق الأبواب وتهتك الأستار لترى وتعرف وتتخير ، لتعود إلى ولدها كل مساء فتقص عليه ما رأت وما عرفت ؛ وكانت تعلم من شئون ولدها ما لا يجهل أحد ؛ فمن ذلك كان حرصها على أن تتخير له فتحسن الاختيار ؛ وعادت إليه ذات مساء تخبره :

لو رأيتها يا رفيق . . . ! لها غُرة الصبح الطالع ، وابتسامة الأمل المشرق ، وحياء الزنبقة البيضاء تحت عيون الزهر . . . لله هي يا بني ! خارَ الله لك !

وقال رفيق : وددت لو رأيتها يا أمي !

ومطّت أمه شفتيها تنكر عليه ، وقالت : وددتُ يا بني ، ولو أنك رأيتها ما زادت في عينيك على ما أصفه ؛ ولكن ، من أين لك ؟ ما أرى أباها يسمح يا رفيق ، ولو سمع أبوها ما أطاقت هي أن تتراءى لك . . . إنها . . .

وصمت رفيق وعاوده قلق الشباب ، وراح يؤامر نفسه : كيف يطيق أن يقطع برأي في المرأة التي يهم أن يشركها في عمره وما رآها ؟

ثم ثابت نفسه إلى الاطمئنان والرضا رويداً رويداً ، وغلبه عقله على هواه ؛ فقال لنفسه : ذلك أحب إليَّ ؛ وإن يقيني بطهارتها لأطيبُ لنفسي من اليقين بجمالها ؛ وهل رضيتُ أن أخطبها من وراء حجاب إلا زهادةً في الجمال المبذول لكل ناظر ؟

وذهب رفيق يتقصى خبرها ويسأل مَن يعرف عما لا يعرف، وأتاه جواب ما سأل ؛ ولم يبق إلا أن يراها ليُبرم أمره ؛ وأي حرج في ذلك ؟

وعادت أمه تسمي مسماتها بينه وبين عَروسه ؛ ثم عادت تحمل إليه الإذن في أن يراها يوم يقدم لها هدية الخطبة

* * *

. . . لم ينقطع رفيق عن صحابته ولم يشغله أمرُه عن مجلسه وإياهم كل مساء ؛ فما كانت له طاقة على فراق بائن إلى غير لقاء ؛ وكذلك لم يهجر ما كان من عادته وإياهم حين يتحلقون حول المائدة المستديرة على الطوار ، يتجاذبون الحديث أو يتبادلون الفكاهات ، أو يُتبعون أعينهم كلَّ غادية إلى عمل أو رائحة إلى ميعاد ، أو يتداعون إلى سهرة حمراء في عُش من عشاش الحب المأجور إلى أن تشيب ذؤابة الليل !

كان يعلم أنه عما قليل مفارقٌ هذه الحياة الصاخبة التي عاش فيها عمراً من عمره ؛ فلا عليه أن يتزود لما يأتي من لياليه ، لا يمنعه عن ذلك مايشغله من أمرٍ يعد له عدته ويهيء أسبابه . . . وتوزّعتْه شئونه ، فنهاره تأهُّبٌ واستعداد ، وليله ليلُ الهوى والشباب !

أرأيت إلى الصائم يتأهب لنهارٍ ظامئ جوعانَ بالمائدة الحافلة بأطايب الطعام والشراب ؟ كذلك كان رفيق في إسرافه على نفسه وفي غلبة هواه !

وراح يوماً لموعده فجلس يقص على صحابته من مغامراته :

« . . . وكنتُ وحدي إلى هذه المائدة أنتظر ، وغاظني أنني بكّرت فلم أجد أحداً منكم آنس إليه ، وتخايلت لعينيَّ فتاةٌ على مبعدة . . . ثم تجاوزتني ومضت ؛ ومضيت في أثرها . . . . . . »

وتقصّف عليه أصحابه يستمعون إليه ؛ فإنه لفارسُ هذا الميدان غير منازَع ، ومضى في قصته :

« . . . وقلت لها وهي جالسة إلى جانبي على الصخرة الناتئة والأمواج تحت أقدامنا تصفق على الشاطئ الغضبان : « إنك أولُ مَن أحببتُ . . . ! » فنظرت إليَّ ساخرة وقالت : « صحيح . . . ؟ » ثم انفجرت ضاحكة . قلت : « وما يمنع . . . ؟ » قالت وتكاد تنغص بضحكتها : « تلك كلمة ليست جديدة على أذني ،

كم مرة سمعتها قبل أن تلفظها شفتاك ! » ؛ وحدّقت في وجهي بعينين فيهما تصميم وإرادة ، كأنما تتحداني لتبلو إرادتي ، وزويت جبيني وحوّلتُ ناحية أنظر إلى رشاش الماء يتواثب تحت أقدامنا وقلت : « ولكنك لن تسمعيها بعد ، ولن أقولها ! » ... ورحت أجمع طائفة من الحصى فأقذف بها الماء وأصابعي ترتعد ؛ إذلم يكن يمنيني إلا أن أثأر لكبريائي ...

قال رفيق : وتخاذلتُ سريعاً حين رأتْ وجهي مصروفاً عنها ؛ فدنت مني وهي تقول : « أنظر ، أترى هذين الطائرين ؟ » ونظرتُ ونظرتْ ، والتقت عينان بعينين ، وشفتان بشفتين ! ... ثم ...

قال الذي عن يمينه : ثم صحوتَ من النوم !

وعلَت ضحكاتُ الجماعة ، وسكت رفيق ، ومضى أصحابه يتجاذبون الحديث ...

* * *

... ودنا الموعد الذي حدّده رفيق ليلقى عروسه فيقدّم لها هدية الخطبة ؛ وكأنما أحب أن يهيئ نفسه لهذا الحدث الجديد ، فانقطع أياماً عن موعد أصحابه ، ومضى يزوّر في نفسه الكلام الذي يَلَيق به خطيبته يوم يلقاها ؛ أتراه كان يخشى أن يخونه بإزائها بيانه وخلابتُه وما عجز قبلها في مجلس فتاة قط ؟ تُرى ما ذا يقول الناس في هذا المقام ؟ وتواردت على خاطره كلمات كثيرة ، كلمات طالما جرى بها لسانه في مجالس الفتيات فكان لها في نفوسهن فعل السحر ؛ ولكنها جميعاً على لياقتها في هذا المقام وصدقها في التعبير عن حقيقة موضعها ، لم تَرُق له ؛ كأنما كان ينزه لسانه في خطابها أن يلقاها بكلمة لم ينطقها قط إلا كاذباً ولم يلقَ بها قط فتاةً تستحق الاحترام !

وأعجزه القول حين وجد الحاجة إليه ، إذ كان كل جديد في لغة الحب الصادق قد حال في لسانه عن معناه الحقيقي إلى معنى وضيع من معاني الخداع والغش والتغرير ؛ فما ثمة إلا كلام بالٍ قد أخلقه التكرار ، أو كلام ساقط قد نسخه الكذب وأحاله عن معناه ... !

وضحك رفيق حين أحس من نفسه العجز عما يريد ، وخطر بباله حديث الناس عن عجز المحبين عن التعبير حين يتراءى العاشقان وجهاً لوجه وتتناجى العيون ! فسأل نفسه : أتراني عشقتُها ؟

* * *

ثم جاء الميعاد ...

وسبق البشيرُ يؤذن بمقدمه ؛ وجلست فتاةٌ تنتظر ، وفي رأسها أخيلة تتراءى وفي قلبها أمل ...

وقال رفيق لنفسه والسيارة تقلّه إلى هناك : ينبغي أن تكون هي أولَ من أحبّ ؛ أليس كذلك ... ؟ بلى ، ومن ذا يستحق الحب غير الفتاة التي أهم أن تشركني في عُمري ؟

وقالت الفتاة لنفسها وهي جالسةٌ مجلسها تنتظر : نعم ، ولمن تهب الفتاة قلبها غير الشاب الذي تشركه في عمره ؟

ودق الجرس ، ودخل رفيق تسبقه البشرى . وعلى الكرسي المذهب في صدر غرفة الاستقبال جلس ينتظر ، وكان إلى جانبه كرسيٌّ خال ؛ ثم انفتح الباب ودخلتْ ...

وتراءيا وجهاً لوجه ، وعرفها وعرفتْه ... وهمّ الفتى أن يقول : «أنتِ أولُ مَن ...» ثم سكت ؛ وتهيأت الفتاة لتقول ، ثم سكتت ...

ودوّى في أذنيه مثلُ هدير الموج يتواثب رشاشه إلى وجهه ، ودوّى في أذنيها ؛ كمجلسهما هنالك في يوم قريب ... وطأطأت الفتاة رأسها في خزي ، وطأطأ الفتى رأسه ؛ وثقل على الفتى والفتاة موقفهما ، وأحسَّا مواقع النظرات تأخذهما من كل جانب ، فمشيا صامتين إلى مجلسيهما ؛ وتبادلا نظرةً أخيرة أغنتْهما عن الكلام .

ولم تتحرك شفتاه بكلمة ، ولكنها سمعته يهمس في أعماقها ساخراً : « أنتِ أول من أحببت ! ! »

ولم تنطق شفتاها ، ولم تجب ؛ ولكن صوتاً من أعماق الماضي كان يهمس في نفسه : « ... تلك كلمة ... كم سمعتْها أذناي قبل أن تلفظها شفتاك ! ! »

وحوّل وجهه إلى ناحية وهو يقول : « ولكنك لن تسمعيها بعدُ ، ولن أقولها ! ! »

وراحت أصابعه تعبث بحبات العقد الغالي فتتناثر على البساط كأنها حصيات من رمل الساحل ؛ وعاد هدير الموج يدوّي في أذنيه ويتواثب رشاشه إلى وجهه ؛ ونهض ، ثم اتخذ طريقه إلى الباب في صمت ! ...

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾